فقه

جماعة المسلمين وإمامهم

لفضيلة الشيخ

محمد غيث غيث

الواعظ بدائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

مكتبة المدينة العلمية

فِقْهُ

جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ١٥٦٤ / ٢٠١٢

الطبعة الأولى

(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)

مكتبة المدينة العلمية

الإمارات - المنطقة الغربية - مدينة زايد

ت: ٠٢٨٨٤٨٠٨٨ - فاكس: ٠٢٨٨٤٨٦٠٩

فقه
جماعة المسلمين وإمامهم

لفضيلة الشيخ

محمد غيث غيث

الواعظ بدائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

مكتبة المدينة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأفاضل: هذه كلمات عن موضوع الساعة وحديث الوقت، إذ الحاجة إليه ماسة، والناس مقبلون على الساعة مبتعدون عن عهد النبوة، وكلما اقتربت الساعة زادت الفتن ووقعت المحن، وقد قال نبيُنا ﷺ: «**إن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ شديد وأمور تنكرونها، ثم تجيء فتنٌ يرقق بعضها بعضا**»[1]، فنسأل الله العافية والسلامة لكل مسلم ومسلمة.

وأصل هذه الكتابة محاضراتٌ في بيان منهج أهل السنة في الإمامة وفقه هذا

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٨٤٤).

الباب العظيم[١]، الأولى بعنوان «الطريق إلى بحبوحة الجنة»، والثانية بعنوان «ظل الله في الأرض»، وهي تعبيرات نبوية.

أما الطريقُ إلى بحبوحة الجنة فهو لزوم الجماعة، وأعني بها جماعةَ المسلمين، وأما ظل الله في الأرض فهو السلطان، قال النبي ﷺ عن الأول: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»[٢].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «أراد بحبوحة الجنة: وسطها، وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره»[٣].

وقال النبي ﷺ عن الثاني: «**السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمهُ أكرمه الله، ومن أهانه أهانهُ الله**».

وهذا الحديث مرويٌ عن جمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم، فهو مروي عن الصديق، ومروي عن الفاروق عمر، وابن عمر، وأبي بكرة، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وأصُحها حديثُ أبي بكرة رضي الله عنه[٤].

وقوله ﷺ: «**السلطان ظل الله**» تعبيرٌ دقيق، فالظلُ يندفع به أذى الشمس، وكذا السلطان يندفع به أذى الفتن.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرات يومي الأربعاء والخميس ٩ و ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ، الموافق ١٣ و ١٤/ ٤/ ٢٠١١م، بعد صلاة العشاء بجامع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بالشارقة.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨)، والترمذي رقم (٢١٦٥)، والحاكم (١/ ١١٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وصححه الحاكم.
وقال ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٥٢٢): «روي هذا الحديث من طرق لو تتبعت فإنه تبلغ مبلغ التواتر».

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ٢٠٥).

(٤) ينظر لتخريج هذه الأحاديث والحكم عليها «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٦٩٤-٦٩٨).

قال العلماء رحمهم الله: هذا التعبير يدل على عظم مكانة السلطان، وأن ظله ليس كالظلال، فهو أرفع الظل وأنفع الظل وأعظم الظل، وأضاف الظل إلى الله تشريفًا لهذه المكانة، فهو ظل الله في الأرض، وفي معناه الحديث الصحيح الذي قال فيه النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله . . . أولُهم إمامٌ عادل**»(١).

قال العلماء: يظله الله في ظله مجازاةً له من جنس عمله، فكما أظل الناسَ في الدنيا بعدله، جازاه الله بذلك في الأُخرى فأظله تحت عرشه، وقدمه على السبعة؛ لأن كل السبعة يندرجون تحت ظله، فهو أعظمهم وأرفعهم، فالجزاء من جنس العمل، والظل فيه راحة وفيه استقرار وفيه تبرد، فمن ترك الظل فإنما خرج للحر، وللنكد ولغير ذلك؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»(٢).

وهذان الأمران: لزوم الجماعة ولزوم السلطان متلازمان تمامًا، فمن لزم السلطان لزم الجماعة، ومن لزم الجماعة لزم السلطان.

ولقد عُلم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، هذا باتفاق العلماء وهو مروي عن عمر رضي الله عنه وأرضاه.

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله عن الأئمة: «هم يلون من أمرنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٦٠)، ومسلم رقم (١٠٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٥).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢١٧): «رجاله ثقات».

وذكر السخاوي للحديث عدة شواهد يتقوى بها، ينظر «المقاصد الحسنة» ص٢٨٢.

جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثرُ مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة، وإن فرقتهم لكُفر»[١].

ولقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ يولون هذا الأمر اهتمامًا خاصًا، لا سيما عند ظهور بوادر الفتنة واختلال الأمن؛ نظرًا لما يترتب على الجهل بذلك أو إغفاله من الفساد العريض في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الرشاد، الذي هو السبيل الذي سنه رسول الله ﷺ لأمته، بل جعل أهل السنة هذا الأمر من أصول الاعتقاد، الذي يتميز به السني عن غيره، ولقد مر على ملة الإسلام ولاةٌ أوغلوا في الدماء، وأمعنُوا في الظلم وانحرفوا في الاعتقاد، فما كان من أهل السنة إلا الثبات على الأثر، والتمسك بالهدي الواضح من رسول الله ﷺ.

فهذا الإمام أحمد رحمه الله تبنى الولاة في عهده قولًا كفريًا منحرفًا، ألا وهو القول بخلق القرآن، وحملوا الناس عليه بالسيف، بل سفكوا دماء العلماء في ذلك، وفرضوه على الأمة فرضًا، وألزموه الصبيان في الكتاتيب؛ فحصلت الفتن والمحن والقلاقل؛ حتى فر الناس من هذا الظلم إلى الجبال وتشردوا، وطُلب العلماء: فمنهم من سُجن، ومنهم من قُتل، إلى غير ذلك من الفتنة المعروفة.

ومع ذلك فالإمام أحمد رحمه الله، وهو الذي ناله النصيب الأكبر في هذه الفتنة، امتحن وسجن وضرب، لم تأخذه العواطف ولم يأخذه الهوى، بل ثبت على السنة، وأمر بطاعة ولي الأمر، والاجتماع عليه، ووقف في وجه من خالف ذلك، ممن أراد مخالفة السنة النبوية الواضحة، أو تبنى الثورة الفكرية التي تتكرر في كل عصر ومصر، كما قال النبي ﷺ: «**كُلما ظهر قرن قطع، كلما ظهر قرن**

---

(١) «آداب الحسن البصري» ص١٢١، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١٧).

قطع»، ذكر ذلك أكثر من عشرين مرة ثم قال: «**حتى يظهر الدجال في عراضهم**»[١].

وقد روى الخلال في «السنة» عن حنبل رحمه الله أنه قال: «اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبدالله- يعني الإمام أحمد رحمه الله-، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا -يعنون إظهار القول بخلق القرآن، وغير ذلك من الأمور المنكرة- ولا نرضى بإمارته ولا بسلطانه، فناظَرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دمائكم ودماءهم معكم، وانظروا في عاقبة أمركم - فخروجهم وهم علماء؛ سيجر الويلات على المسلمين- قال: و اصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ليس هذا - يعني نزعهم يد الطاعة من الواثق- ليس هذا صوابًا، هذا خلاف الآثار»[٢].

بل من شدة تمسك السلف بهذا الأصل ما قاله البربهاري رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى»[٣]، فالميزان الذي تعرف به صاحب الهوى من صاحب السنة هو الدعاء للسلطان أو عليه.

وسبب هذا الاهتمام هو اهتمام النبي ﷺ بهذا الأمر وتأكيده وتشديده عليه؛ حتى تواترت فيه الأحاديث عن رسول الله ﷺ واستفاضت، فالأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جدًا.

وقد بين الرسول ﷺ فيها أدق الأمور، وجلاها بما لا يحصل فيه أدنى لبس، حتى قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «من تمام الاجتماع: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا، فبين النبي ﷺ هذا الأمر بيانا

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (١٤٧)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٢٦): إسناده صحيح وقد احتج البخاري بجميع رواته.

(٢) «السنة» للخلال (١/ ١٣٣).

(٣) «شرح السنة» للبربهاري ص٥١.

شائعًا ذائعًا بكل وجه من أنواع البيان شرعا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند كثير ممن يدعي العلم، فكيف العمل به»[١]، وهذا يدل عن غفلة الناس عن هذه الأصول المؤصلة من رسول الله ﷺ.

ولا يخفى أن رسول الله ﷺ حين قدم على مجتمع المدينة، كان هذا المجتمع قبل مجيئه ودعوته مجتمعًا في غاية الانحطاط وفي غاية التفرق، قد اجتمعت فيه كل الفتن: فالمدينة أرض قاحلة وجبال جرداء وأهلها فقراء، وقد أمسك بزمام التجارة والمال فيها اليهود، وكانت العداوة بين الأوس والخزرج على أشدها؛ فقد كانوا يتقاتلون على ناقة فما دونها، واليهود بينهم يمشون على قاعدة «فرق تسد»، كلما أرادوا أن يجتمعوا فرقوا بينهم، فجاء النبي ﷺ إلى هذا المجتمع المشتت المتفرق فبناه على أصل الإيمان، ووحده حتى كان من وحدته أن الصحابة تآخوا فيما بينهم، فورث بعضهم بعضا من شدة هذا التمسك، وكان يقول لهم: «**إنما مثل المؤمنين كمثل الجسد الواحد**»[٢]، و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان**»[٣]، و«**المؤمن من أهل الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد**»[٤]، إلى غير ذلك من التأصيلات العظيمة التي أصلها رسول الله ﷺ في هذا المجتمع.

فلما اجتمعوا تحرك الحسد في قلوب الأعداء، فقد روى ابن إسحاق في «السيرة»[٥] أن شاس بن قيس وكان شيخًا قد عسا من اليهود، أي: كبر وشاخ، وكان عظيم الكفر شديد الحسد والبغض لأهل الإسلام، فمر على ملأٍ من

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ١١).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٠١١)، ومسلم رقم (٦٧٥١).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٠٢٦)، ومسلم رقم (٦٧٥٠).
(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٠)، والقضاعي (١٣٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١١٦٠٥).
(٥) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٩٣).

الأوس والخزرج من أصحاب رسول الله ﷺ، فرآهم يتحدثون وقد اجتمعوا على الإسلام، واندرأت الفتن من بينهم؛ فقال مقولةً تتكرر وتطبق في كل عصر ومصر، بعد أن غاظه حالهم فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة في هذه البلاد، والله لو اجتمعوا فيها ما لنا فيها من قرار. فبعث شابًا من اليهود إليهم، فقال: اذهب فاجلس بينهم، وذكرهم بما كان بينهم من حروب يوم بُعاث وغير ذلك، وأنشدهم من أشعارهم. فذهب وجلس بين القوم، وجعل يحدثهم ويثيرهم ويحرك عواطفهم؛ فاشتعل القوم حتى وثب رجلان على الرُكب وتقاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئتم رددناها الآن جذعة. فغضب الفريقان وقالوا: موعدكم الظاهرة. وتنادوا: السلاحَ السلاحَ، فبلغ الخبر رسول الله ﷺ؛ فجاء مُسرعًا بمن كان عنده من المهاجرين، فلما رآهم قال: «**يا معشر المسلمين اللهَ اللهَ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم** - فالتفرق ليس له مكان في بلاد الإسلام، فهو عنوان الضعف وعنوان الفشل وعنوان الهزائم، فكلما تفرق المسلمون؛ سامهم الأعداء سوء العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ [الأنفال: ٤٦]- **أبعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم؛ فعرف القوم أنها نزغة شيطان**»[1] وهذا من تقواهم، وأهل التقوى هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وأما من مشى على الهوى؛ فإن العدو سيزيده طغيانا وثورةً وانفعالًا؛ فيهدم داره قبل دار عدوه، فلما عرف القوم أنها نزغة شيطان وكيد من العدو؛ بكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين طائعين ملتفين حوله، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا

---

(١) المرجع السابق.

تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إلى قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وهذا درسٌ عظيم لأهل الإسلام، فالمجتمع المسلم لا تدرأ عنه الفتن إلا إذا كان متحدًا ومجتمعًا على الألفة، معتصمًا بحبل الله، أي: على الكتاب والسنة مع الالتفاف حول الإمام، فلا أحزاب ولا طوائف، ولا شقاق ولا فراق، فتفريق الناس على أساس حزبي، وكل حزب تتبناه جماعة وطائفة لها أتباع؛ من أكبر مقاصد أعداء الإسلام؛ وذلك ليسهل إشعال الفتن بينهم، وضرب بعضهم ببعض؛ ليبقى العدو في أمان وتَمَكُّن وسيطرة، ولذلك اشتد حرص النبي ﷺ على الجماعة والاجتماع، وأمر الأمة بالصبر على جور الأئمة، وإن بلغوا في الجور أي مبلغ ما داموا مسلمين، وحرَّم عليهم شق الصف، وحرَّم عليهم نبذ عصا الطاعة؛ حتى لا يتفرقوا ويكونوا لقمةً سائغةً لعدوهم، فالأمة المتفرقة أمةٌ فاشلةٌ ضعيفة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وللأسف ظهر من المسلمين من يجعل التحزب والتفرق في أمة الإسلام ظاهرةً صحية، وظاهرة حقوقية وحرية، وربنا تعالى يقول في بيان سبيل أهل الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، أي: ليسوا من رسول الله ﷺ، ولا هو منهم، وعاب على المتفرقين المتحزبين بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٥٧٨).

قال النووي رحمه الله: «وقوله: «ولا تفرقوا» أمرٌ بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض و هذه إحدى قواعد الإسلام»[١].

ولذلك قالت أم سلمة رضي الله عنها حين جاء الأحزاب وتفرقوا على عثمان، وتقاولوا في المسجد وتراموا بالحصباء: «ألا إن نبيكم ﷺ قد برئ ممن فرق دينه واحتزب»[٢].

ولا يقولن قائل: هذا في الإمام الصالح الذي يراعي مصلحة الشعب، ويحكم بالإسلام ويؤدي الحقوق، فالناس معه لا يحتاجوا إلى أحزاب وجماعات لرد الحقوق والمظالم، أما إذا كان ظالمًا فلابد من ذلك، فهذا من أبطل الباطل؛ وذلك أن الإمام يطاع ويلتف حوله، ولو كان من أظلم الظالمين وأفسق الفاسقين، ما دام مسلمًا، ومن تأمل الأحاديث النبوية عرف بطلان هذا القول، فتأمل الأحاديث، واشرح لها صدرك، وفرغ نفسك من كل شبهةٍ في رأسك، فالدين إنما هو اتباع، والإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالاستسلام، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، فلن تهتدوا إلا إذا أطعتم الرسول ﷺ.

ففي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم** - صلحاء أم شرار؟- **وتلعنونهم ويلعنونكم** -تأمل كيف وصل الحال بالرعية مع الراعي والإمام، وهذا لا يُجَوِّز ذلك، ولكن من شدة الغيظ والكبت والظلم والجور- **فقال الصحابة: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟** -نثور ونحمل السلاح-، **فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة** -وإقامة الصلاة أي: الصلاة

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ١١).

(٢) ذكره الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ٦٠).

منتشرة في البلد فالناس يصلون- **ألا من وُلي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية الله** -وانتبه «شيئًا» نكرة فتعم: شرب الخمر وأكل الربا وسفك الدماء والظلم والحبس وغير ذلك- **فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة»**[١]، وفي رواية: «**إذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة»**[٢].

فأخبر أنهم بلغوا من الشر مبلغ البغض واللعن، ومع ذلك أمرنا بأمرين اثنين لا ثلاث لهما:

الأول: فليكره ما يأتي من معصية الله.

الثاني: فلا ينزعن يدًا من طاعة.

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها، قالوا يا رسول الله: كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»**[٣]، والأثرة: الاستئثار بالمال ونحوه دون الناس، فلا يعطون الناس حقهم.

قال ابن تيمية ﷺ في المنهاج: «قد أخبر النبي ﷺ أن الأمراء يظلمون ويفعلون أمورًا منكرة، و مع هذا فأمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم -ما هو؟ السمع والطاعة، ونسأل الله الحق الذي لنا- ولم يأذن في أخذ الحق بالقتال، ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم»[٤]، فأمرنا بأمر جلي واضح.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٩١١).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٩١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٦٠٣)، ومسلم رقم (٤٨٨١).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٣٢).

قال النووي رحمه الله: «هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكررًا، ووُجد مُخبَره متكررًا -يعني هذا يتكرر في كل زمان-وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالمًا عسوفًا، فيعطَى حقهُ من الطاعة، ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يُتضرع إلى الله في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه»(١).

وعند مسلم أن سلمة بن يزيد الجحفي رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا؟ فأعرض عنه النبي ﷺ- أي: سكت ولم يجبه، وفي اصطلاح كثير من أهل العصر أن العالم إذا سُئل هذا السؤال فسكت ولم يجب، لاتُّهم باتهامات شتى: جبان، مداهن، عميل، وغيرها من الألقاب الكثيرة التي ستجدها في قاموس أهل الأهواء -ثم سأله فأعرض عنه- وهذا يدل على كراهية السؤال في هذا الباب - ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حمِّلتُم»**(٢).

قال النووي رحمه الله: «اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في السمع والطاعة في جميع الأحوال؛ وسببها اجتماع كلمة المسلمين، وأن الخلاف سببٌ لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»(٣).

وفي الصحيحين عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للصحابة رضي الله عنهم يومًا: «**ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض** -وفي رواية

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٤٨٨٨).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٢٢٥).

عند البخاري- **فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض**»[١].

وهذا رد على من ضاق به الصبر وقال: إلى متى نصبر؟ كم سنة نصبر؟ صبرنا أكثر من عشرين سنة، صبرنا ثلاثين سنة، صبرنا أربعين سنة ويزيد، أيُريد أن يخلد، قال ﷺ: «**فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»، «**اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله**»، ما دمت في الدنيا فعليك بالصبر، هذا توجيه نبيك ﷺ، فالرسول ﷺ أخبر عن حال شرار الأئمة، وأخبر أنهم سيستأثرون بالمال، وسيأتون أمورًا منكرة، ويبغضون رعاياهم، ويمنعونهم حقهم ويأتون المعاصي الظاهرة، ومع ذلك أمر بكراهية ما يأتون من المعاصي بالقلب، وعدم نزع يد الطاعة، وعدم منابذتهم، ولزوم طاعتهم، وإعطائهم حقهم، والتوجه إلى الله تعالى في سؤال الحقوق منه سبحانه، والصبر على الأثرة والظلم إلى الممات، هذا أمر وهدي من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

فأين من خالف هذا الهدي وهذه الأوامر؟ أين من يحركه رغيف خبز إذا جاع، فتراهم يجتمعون ويخرجون، حتى ينادي خطيبهم في بعض الفضائيات: «يا معشر الحكام: إن لم تشبعوا الشعب أكلكم»، والناس والله في هذا الزمان في نعمة لم يدركها آبائهم ولا أجدادهم، ولكنه الهوى، فهم يثورون على الحاكم لأنه لم يطبق الشريعة؛ أليست هذه الأحاديث كلها شريعة، أليس الأمر بلزوم الجماعة وعدم الخروج، والصبر على الجور والظلم، أليس شريعة، كيف تنتقد الحاكم في عدم تطبيق الشريعة، وأنت لا تستطيع أن تطبق الشريعة في هذا الباب العظيم الذي تكاثرت فيه الأحاديث وأجمع عليه أهل السنة.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٩٣)، ومسلم رقم (٤٨٨٥).

لماذا يلبس على الناس بأن الطاعة لا تكون إلى للإمام الصالح الراشد، وأن الإمام إذا عصى فلا سمع له ولا طاعة مطلقًا، وهذا محض مذهب الخوارج: إذا عصى الإمام سقطت طاعته من كل أمر، وأما مذهب أهل السنة: يُعصى في تلك المعصية فقط، فإذا أمرك بشرب الخمر فاعصه، ولكن في غير ذلك: فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة، فتبقى إمامته وهيبته ومكانته.

بل تأمل ما رواه مسلم من حديث حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُداي ولا يستنون بسنتي** -تأمل هل طبقوا الشرع؟ هل أدوا الحقوق؟- **يقوم فيهم رجال: قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس** - هؤلاء البطانة: رجال الدولة، والوزراء والمقربون، الصورة صورة إنسان، والقلب قلب شيطان، ماذا ترجوا من رجل قلبه قلب شيطان؟ لا يسعى إلا لهواه وشهوته، يزيد الثروة يوما بعد يوم- فقال حذيفة: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك، قال: **تسمع وتطيع للأمير** -تنبه إلى وصف الأمير: لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي- **وإن ضُرِب ظهرك، وأُخِذ مالك فاسمع وأطع**»[1].

لم يقل: يعطونك المال والحق، وإنما يأخذون مالك ويضربونك عليه، ومع ذلك قال: «**فاسمع وأطع**».

والحديث في «صحيح مسلم»، ولا تلتفت لمن يقول: إنه في متابعات مسلم؛ فلا يقبل، فالعلماء من أول العهد إلى يومنا هذا، كلهم يعتمده ويعتبره.

وللأسف ظهر في الناس من تُعرض عليه هذه الأحاديث فيقول: هذا تدين سلبي، ويقول: هذا انبطاح للسلطان، وإقرار للظلم، وتمكين للظلم وتغذيةٌ له، ويقول: كنا نتمنى من العلماء أن ينصروا الشعوب، فكانوا حجر عثرة أمام

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٤٨٩١).

الشعوب، الشعوب تريد الحرية، والعلماء يقولون: لا؛ فخذلوا الأمة.

هذا موجود، فالشارع يغلي والفتن تستهوي، والفتن خطافة والقلوب ضعيفة، وهذا العلم يحجب عن الناس: إما عمدًا، وإما جهلًا، كيف يقال: هذا تدين سلبي، هل التمسك بالسنة تدين سلبي، طيب متى يكون التدين إيجابيًا إذا كان التدين بالسنة تدينًا سلبيًا، وهل كان تدين الصحابة سلبيًا، كيف يكون التدين إيجابيًا؟ هل إذا اهتديت بهدي الكفار، وأثرت الفتن، وسفكت الدماء وأذهبت الأمن، هل هذا هو التدين الإيجابي؟

هذا في الحقيقة، واسمحوا لي على بعض العبارات، فهذا تدين البطون والهوى، وحب الرئاسة وعمى البصيرة، وإلا كيف يحق لمسلم أن يعترض على أصل تواتر عن رسول الله ﷺ، ويعترض على هذه السنة الواضحة.

بل جاء في رواية في حديث حذيفة رضي الله عنه أيضًا: «**أن النبي ﷺ ذكر الأطوار التي ستمر بها الأمة، وحال الخلفاء الذين سيتولون أمرها، فذكر حال أول الإسلام وما فيه من الخير**، فقال حذيفة: فهل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: **نعم** -لم يزد على ذلك السؤال- فقال: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **نعم وفيه دَخَن**، قال: وما دَخَنُه، قال: **قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر** -عندهم أمور معروفة وعندهم أمور منكرة- فقال حذيفة: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **نعم دعاةٌ على أبوب جهنم من أجابهم إليها قذفوهم فيها** - هنا جاء الاستفصال إذ لابد من البصيرة - فقال حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا، قال: **قومٌ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**، فقال يا رسول الله: فما تأمرني إن أدركت ذلك، قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**، فقلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام، قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ على أصل شجرة،**

حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[١].

قال ابن بطال ﷺ في فوائد هذا الحديث: «فيه حجةٌ لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور... لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاةٌ على أبواب جهنم، ولم يقل فيهم تعرف وتنكر كما قال في الأولين... وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة»[٢].

أين حجج أهل التحزب والتفرق مع هذا البيان النبوي؟ أين موضع الأحزاب في هذا الحديث؟ والأئمة قائمون والأحزاب قائمة كيف يستوي؟ إذا كان ثمَّ إمام فالواجب: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فالمسلم بين أمرين: إما أن يكون هناك إمامٌ قائم؛ فواجبك أن تلزمَ جماعةَ المسلمين وإمامهم، وإما أن لا يكون هناك إمامٌ قائم؛ فواجبك أن تعتزل تلك الفرق كلها حتى تموت، فالأئمة إذا كانوا قائمين لا تستوي الأحزاب معهم.

وقد بَوَّبَ النووي ﷺ على هذا الحديث بقوله: «باب لزوم جماعة المسلمين عند الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة»[٣]، وقال في بيان فوائد هذا الحديث: «وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي، من أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية»[٤]، فالخروج عن جماعة

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٣٦٠٦)، و«صحيح مسلم» (٤٨٩٠).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٣٣)، بتصرف.
(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٢٣٦).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ٢٣٧).

المسلمين وسلطانهم إلى جماعات وأحزاب ضَلالٌ، فالظلم والفساد لا يُحِلُّ المفارقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه؛ فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرًا** -وفي رواية- **من فارق السلطان شبرًا فمات، ميتته جاهلية**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: «قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة: السعي في حَلِّ عقد البيعة التي حصلت لذلك الإمام ولو بأدنى شيء، فكَنَّى بالشبر؛ لأن الأخذ بذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق»[(٢)].

يعني من تكلم على الإمام سعى في ذلك بالسوء، ومن حَرَّض عليه سعى في ذلك، ومن سبه سعى في ذلك، فالسعي في هذا الأمر يؤدي إلى سفك الدماء بغير حق، وهذا واقع لا ينكره إلا مكابر، فما من فتنةٍ ثارت على إمام ذي سلطان إلا وكان فيها دم، ولو نظرت في الأشهر القليلة الماضية فما قامت فتنة إلا وفيها دماء، وهذا الأمر واضح، وجوع الناس ووقوع الظلم عليهم، أهون بكثير من قتل رجلٍ مسلم واحد؛ لأنه جاء في الحديث: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**»[(٣)].

ولكن للأسف هناك من يقول: هذه تضحيةٌ وشهادةٌ في سبيل الحرية، «**ومن**

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٠٥٤)، ومسلم (٤٨٩٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٧).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (١٣٩٥)، والنسائي رقم (٣٩٨٧) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه النسائي أيضًا رقم (٣٩٩٠)، من حديث بريدة، وابن ماجه رقم (٢٦٩١) من حديث البراء بن عازب، وقال ابن الملقن في كل من حديث بريدة، وحديث البراء: إسناده صحيح، «البدر المنير» (٨/ ٣٤٨).

قتل دون ماله فهو شهيد»[١] أيش لو مات مائة، أيش لو مات ألف، أو مائة ألف في سبيل حرية بلد بأكمله! هذا يقال وقيل، ما أرخص الدماء عند أهل الأهواء، ولكن الدين عندما يقل في القلب ترخص الدماء، وهذا لا شك أنه أمر سوء؛ لأنهم جَرُّوا بذلك الناس إلى الفتن، وتحرشوا بأهل القوة، فحصدوا منهم من حُصِد، وسُفكت الدماء ووجهت الأنظار إلى من أفتاهم فلابد من مخرج؛ فألبسوها لباس الشهادة فقالوا: شهيد، وهذا لا شك أنه أمر عظيم، بل حتى المنتحر الذي أحرق نفسه، وفيه وعيدٌ شديد جاء في الحديث عنه: «**خالدًا مخلدًا في نار جهنم**»[٢] قالوا: شهيد، كيف يقال عن الثائر على الإمام: شهيد، والنازع ليدِ الطاعة شهيد، والرسول ﷺ يقول: «**فمات، ميتته جاهلية**»[٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله في «أصول السنة»: «من خرج على إمامٍ من أئمة المسلمين، وكان الناس قد اجتمعوا عليه وأقروا له، بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شقَّ هذا الخارج عصى المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه، مات ميتةً جاهلية»[٤].

نعم لفظ شهيد يوجد في الإعلام، الذي وللأسف أكثره ثوري.

بل يوجد في بروتوكولات حكماء صهيون -ولا تستغربوا هذا القول- جاء في البروتوكول التاسع عشر: «ولكي نصل إلى هذه الغاية، استخدمنا الصحافة والخطابة العامة -وحاليًا التلفاز والانترنت والفيسبوك- وكتب التاريخ المدرسية الممحصة بمهارة، وأوحينا إليهم بفكرة أن المقاتل السياسي شهيد؛ لأنه مات

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٨٠)، ومسلم رقم (١٤١).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٧٧٨)، ومسلم رقم (٣١٣).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) «أصول السنة» للإمام أحمد ص٤٦.

من أجل فكرة السعادة الإنسانية، وأن مثل هذا الإعلان قد ضاعف عدد المتمردين»[١]، إي والله قد ضاعف عدد المتمردين، وملأ الشباك من الجاهلين الغافلين!!.

قال البخاري في «الصحيح»: «باب لا يقال فلان شهيد»، ثم ذكر حديثا أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مكلوم يُكلَم في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلَم في سبيله**»[٢]، فعلم الشهادة إلى الله، «**الله أعلم بمن يكلم في سبيله**»، ومع ذلك جرى لفظ الشهادة على من كل من مات في الثورات،وإن كان لا يعرف عنه شيء يكفي عندهم أنه مات من أجل فكرة السعادة الإنسانية والحرية والديمقراطية.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن عمر رضي الله عنه شهد لرجل مات في غزوة مع رسول الله ﷺ بالشهادة -وعمر من عمر؟-؛ فقال رسول الله ﷺ: «**والله لقد رأيته في النار في شملةٍ غلها**»[٣]؛ ولذلك كان عمر بعد ذلك يقول للصحابة رضي الله عنهم: «لا تقولوا لمن يقتل في مغازيكم شهيدًا»[٤].

فمن مات على خير؛ نرجو له الخير، أما الجزم فلا؛ لأن الحكم بالشهادة حكمٌ بالجنة، والحكم بالجنة مرجعه إلى الله ﷻ والرسول ﷺ؛ فنحن عندما

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» ص١١٢.

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٢٨٩٨).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٠٧٣)، ومسلم رقم (٣٢٣)، بلفظ: «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة**».

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٤٠-٤١ و٤٨)، والدارمي (٢/ ١٤١)، وأبو داود رقم (٢١٠٦) والترمذي رقم (١١١٤) والنسائي (٦/ ١١٧-١١٩)، وابن ماجه رقم (١٨٨٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

نقول: العشرة المبشرون في الجنة، إنما ذلك عن بشارة الرسول ﷺ، فالجنة ليست صكوكَ غفران نعطيها لمن نشاء، ونحرمها من نشاء، وهذا التعدي جلب الضرر للأمة، وأغرى الأغمار وضلَّلَهم، وصدَّهم عن سبيل الصراط المستقيم، الذي بينه ﷺ.

ولا تقل: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[1]، هذا حق ولكنه في غير السلطان، فالسلطان تسمع له وتطيع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك، وهو مستثنى من هذا الحديث باتفاق أهل العلم، فلو أراد السلطان مالك فأعطه، ولا يجوز لك أن تقاتله وتقول: أدافع عن مالي، إذ قتال السلطان شره يتعدى إلى الغير، وقد أمر النبي ﷺ بطاعته في هذا وعدم مقاتلته، فلا يجوز أن يلبس على الناس بحديث عام تخصصه أحاديث أخر، ولذلك قال ابن المنذر رحمه الله: «الذي عليه عوام أهل العلم أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله وأهله إذا أريد ظلمًا؛ للأخبار التي رويت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»، لم يخص وقتًا دون وقت، ولا حالا دون حال إلا السلطان، فإن كل من نحفظ عنهم من علماء أهل الحديث كالمجمعين على أنه من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه؛ للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم وترك قتالهم والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة»[2].

فالسلطان لا يُنازع ولا يُثار عليه ولا يُخرج عليه، ولو بلغ في الظلم أي مبلغ ما دام مسلمًا، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة، ومعلومةٌ هي منزلة الإجماع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «الأوسط» ص٤٠٧، وانظر «الإشراف» (١/ ٥٤٠)، و«شرح البخاري» لابن بطال (٦/ ٦٠٨)، و«الإنجاد في أبواب الجهاد» للقرطبي (٢/ ٦٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٤٤٥).

من الأدلة الشرعية، فالإجماع لا يجوز أن يُخالف.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقةً ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرت، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق»(١).

وقال ابن تيمية الخبير رحمه الله: «وقلَّ من خرج على إمامٍ ذي سلطان؛ إلا ما تَوَلَّد عن فعله من الشر أعظم مما تَوَلَّد من الخير...؛ ولهذا استقرَّ أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة؛ للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ؛ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم... ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب، واعتبر أيضا اعتبار أولي الأبصار؛ علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور»(٢).

فانظر أمامك وانظر فيمن حولك، كم من دولة ثارت وكان حاكمها قد بلغ الغايةَ في الطغيان، وهاهم اليوم يبكون على حاكمهم وظالمهم، لم يكن فيهم واحدٌ يستجدي دولَ العالم، ولم يكن فيهم بطالة، بل لديهم ثرواتٌ ونعمةٌ وخير، فذهبوا بعده شَذَرَ مَذَر: أحزابٌ وفرق، والدماء تسيل في كل حين، فانظر إلى من حولك، فلا نحتاج أن نسمي؛ لأن الأسماء راسخةٌ في العقول، فكل دولة ثار أهلها على حاكمهم؛ حُرموا خيره وتوالت عليهم المحن، وهم في كربٍ ومحن إلى ما شاء الله عز وجل.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولعله لا يكاد يُعرف طائفةٌ خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»(٣).

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٢٢٩).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٣١٥).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٣١).

وقال الشوكاني ﷺ شارحًا قول صاحب «حدائق الأزهار»: «ويؤدب من يثبط عنه أو ينفى، ومن عاداه فبقلبه مخطئ، وبلسانه فاسق، وبيده محارب»، فقال: «وأما قوله: «ويؤدب من يثبط عنه» - والتثبيط يكون بتحريك الشعب عليه، والتكلم في عرضه، وتقليل هيبته بين الناس، والمطالبة بالحقوق علنًا بلا مناصحة، واللجوء إلى غير أهل الحق، وعدم المناصحة في السر هذا من التثبيط على السلطان- فالواجب دفعه عن هذا التثبيط، فإن كف وإلا كان مستحقًا لتغليظ العقوبة، والحيلولة بينه وبين من صار يسعى إليه بالتثبيط، بحبس أو غيره- بل نصَّ العلماء على وجوب الحبس، أي يجب على الحاكم أن يحبس من يثبط، وهذا مذكور في كتب السنة-؛ لأنه مرتكب لمحرم عظيم، وساعٍ في إثارة فتنة تراق بسببها الدماء، وتنتهك عندها الحرم- وفي زماننا يسمى المثبط ناشطًا إصلاحيًا، وهذا في الحقيقة فساد- وفي هذا التثبيط نزع ليده من طاعة الإمام»[(١)].

تأمل قول النبي ﷺ: «**من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله ﷻ ولا وجه له عنده**»[(٢)].

بأي وجه تستحل المنازعة واستذلال الإمارة، والأحاديث قد بُينت ووضحت أوضح بيان، ما برهانك؟ ما حجتك؟ فإذا لم تكن عندك حجة، فبأي وجه ستقابل ربك غدًا يوم القيامة وقد استذللت الإمارة؟

وهذا الأمر خطير، وأنا والله لا أكتب من أجل الدفاع عن أحد، ولا نصرةً لظلم، ولست بمدفوع من أحد، ولا أطلب أجرا من أحد، ولا أطلب الوجاهة ولا الزلفى عند أحد، ولكن الأمر والله دين، والله دين، والله دين.

---

(١) «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» (٤/ ٤١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٨)، والحاكم (١/ ٢٠٦)، وصححه الذهبي.

والأحاديث في هذا الباب متواترة، وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فالذلة والهوان والانبطاح والتدين السلبي، إنما يكون في مخالفة الشرع وفي مخالفة السنة؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**»(١).

يقول حذيفة رضي الله عنه: «لا يمشين رجل منكم إلى ذي سلطان ليُذله، فلا والله لا يزال قومٌ أذلوا السلطان أذلاء إلى يوم القيامة»(٢).

وقال الحسن البصري رحمه الله عمن خرج: «والله ما جاؤوا بيومِ خير قط»(٣)، فأكثر الناس: إما دنيا مؤثرة، أوهوىً متبع، أو جهلٌ مركب؛ إذ كيف يعرض المسلم عن هذا الهدي الواضح؟ وكيف يعارض السنة البينة عن رسول الله ﷺ؟ فيغتر بفتن تكررت عبر التاريخ، وأثبتت الأيام عدم جدواها وفشلها، وأنها سبب لكل بلاء ومحنة وفتنة، ثم يلِجها مع الناس.

وقد كان السلف إذا نشأت الفتنة تمثلوا بأبيات من الشعرذكرها البخاري رحمه الله(٤)، وهي:

الحربُ أولُ ما تكونُ فتيةً ... تسعى بزينتها لكل جَهول
حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضِرامُها ... ولت عجوزا غير ذات حَلِيل
شمطاءُ يُنكر لونهاوتغيرت ... مكروهةً للشمِّ والتقبيل.

فالجاهل يفرح، ويقول ستتغير أمورنا، وننال حقوقنا، ووالله لا ترى إلا

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في باب ما قيل في الرماح (٦/ ٩٨).
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٧).
(٣) رواه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٨٨٩٧).
(٤) «صحيح البخاري مع فتح الباري» (١٣/ ٤٩).

بطالةً وجوعًا، وعدم أمن وخوف واضطراب و غير ذلك.

اسألوا من ثار كيف حالهم؟ فالحربُ والفتنة في بدايتها تسعى بزيتها لكل جهول، حتى إذا اشتعلت وقويت -وهنا المصيبة- ولت كعجوز لا زوج لها ولا خاطب، وتكون مكروهةً من كل أحد، فعند ذلك يقال: أين الخطباء؟ أين الطالبون الخير منها؟

قال الغزالي رحمه الله: «واعلم أن السلطان به قوام الدين، فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالمًا فاسقًا»، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «إمام غشوم خيرٌ من فتنةٌ تدوم»[١].

وكان السلف يقولون: «ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة بلا إمام»[٢]، والتجربة تبين ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله عن مثل هذه الثورات والخروجات: «فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، ومن تأمل ما جرى على الإسلام والمسلمين من الأمور الكبار فما دونها، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر»[٣].

هذه أقوال العلماء وليست بأقوالي أنا، ولكني أنقل لتعلموا وتعرفوا كيف كان العلماء يتصرفون، وماذا حكموا؟ وماذا قالوا؟

قال عمر رضي الله عنه لسويد بن غفلة: «يا أبا أمية لعلي لا ألقاك بعد عامي هذا -فهي وصية وفاة ووداع- فإن أُمِّر عليك عبد حبشي مجدع -وهذا من أسباب الفتنة؛ فهو ليس أهلا للولاية ولكن أُمِّر- فاسمع وأطع، وإن ضربك فاصبر،

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٩٩)، وانظر «الأثر في تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٦/ ١٤٨)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٧٩).

(٢) ينظر «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٤٨).

(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ٣).

وإن حرمك فاصبر، وإن أراد أمرًا ينقص دينك؛ فقل: دمي دون ديني، ولا تفارق الجماعة»[١].

فالأمة تصطلي بنار الفرقة والفتنة، والأعداء متربصون والأصول وقواعد الشرع أهل الإسلام عنها غافلون: إما جهلا، وإما حجبًا وتضليلا إلا من رحم ربي.

قال معاوية رضي الله عنه: «إياكم والفتنة لا تهموا بها؛ فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة وتورث الاستئصال»[٢].

كم من نعم كُدرت على بلاد؟ وكم من معيشة فسدت؟ وكم من استئصال حصل؛ لما ثار الشعب وخالف الشرع.

لذلك قال الشعبي رحمه الله للحجاج لما أدخل عليه، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، وشارك في الفتنة قبل بيان الأمر واستقراره -وهذه الفتنة فيها دروس وعبر- لما أُدخلَ على الحجاج بن يوسف، وقد سأله عن حاله فقال: «قد اكتحلنا بعدك السهر، وتحَلَّسنا الخوف، وخَبَطَتنا فتنة»[٣]، قد اكتحلنا بعدك السهر، أي: في خوف ورعب، وتحلسنا الخوف، أي: ذاقوا الخوف.

رفحقُّ الإمام على الرعية، هو ما بينه ابن جماعة رحمه الله بقوله: «ردُّ القلوب النافرةِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٥٤٤)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ١٥٣)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٣٨٠)، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٤٥)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٤٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٩٦)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠٥).

عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام الملة»[١].

أين ادعاء إتباع الرسول؟ كيف يُرد حكمه وتُرفض سياسته الحكيمة؟ كيف يقال: الحاكم الذي لا يؤدي إلينا حقنا؛ لا يستحق أن يكون إمامًا علينا، ولا نرضى بحكمه، وسنثور عليه، وسنبقى معتصمين حتى يُخلع ويذهب.

فأين ذهبت عقول المسلمين، مع هذه الأدلة الصريحة عن رسول الله ﷺ.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «أتينا رسول الله ﷺ، أودعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعناه على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم فيه من الله برهان»[٢].

تأمل هذا البيان، وهذه البيعة العظيمة التي في عنق كل مسلم: السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، أي في كل الأحوال، فيما يحبه المرء وفيما يكرهه مما يخالف مصلحة الإنسان وهواه، في العسر والأثرة وهي ظلم وجور وأكلٌ للحقوق، ومع ذلك لا ننازع الأمر أهله إلا أن:

الأول: «تروا»، لا أن تسمعوا، فلا بد من علم يقيني، فلا تكفي التقارير السرية، والشائعات المغرضة، والظنون الخارصة، كل هذا لا يكفي.

الثاني: «كفرًا» لا فسقًا، فلا بد أن نعلم أن الأمر كفر، فالفسق والظلم مهما بلغ لا يجوز معه الخروج.

الثالث: «بواحًا»، وهو الذي باح به صاحبه، ليس فيه أدنى خفية، ولا يختلف فيه أحد، ولا يحتمل التأويل.

---

(١) «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام» لابن جماعة ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٠٥٦)، ومسلم رقم (٤٨٧٤).

الرابع: «عندكم فيه من الله برهان»، أي: دليلكم على الكفر: وحيٌ من الله، وليس اجتهادًا، أو رأيًا، أو مصلحةً، وإنما نصٌّ قاطع صحيح، لا يحتمل التأويل، فإذا كان الدليل ظنيًا أو اجتهاديًا فإنه لا يجوز معه الخروج؛ لأن الخروج فيه شرٌ عظيم ومفاسد كبيرة.

فالشروط أربعة فإذا استوفيت هذه الشروط؛ جاز الخروج عند العلماء بشرط، وهو: أن لا يؤدي الخروج إلى منكر أو مفسدة تراق بسببها الدماء، فإذا أدى الخروج إلى منكر أو مفسدة؛ لم يجز الخروج ولو استوفيت الشروط الأربعة، وتقدم كلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»[1]، لذلك فإن من الفتنة العظيمة زَجَّ الشعوب في مهاترات ومساومات مع الحكام، وإثارتها في كل قضية، وهذا في الحقيقة من شؤم التحزب والافتراق؛ فكل حزبٍ يجتهد في المنازعة، ويستميت في تحسين صورة نفسه، وتشويه صورة المخالف حتى لو كان على حساب الدين، وينادي أتباعه للتحرك لنيل الحرية والديمقراطية، وحرية التعبير، وحرية التفكير وإلى غير ذلك من الأمور التي تسمعونها.

وكثيرٌ من الناس يسمي هذا التحرك جهادًا، وهذا لا شك أنه من الشر؛ لأنهم يفرقون الأمة باسم الحرية والعدل ورد الحقوق، ويذهبون بأمنها وقدراتها وألفتها باسم الجهاد، ويغمسونها في الفتن والفساد باسم الدين؛ ولذلك قال خطيبهم بملء فيه: «طلب الحرية مقدمٌ على تطبيق الشريعة الإسلامية»، وهذا خطأٌ كبير وانحراف خطير، ولكن الهوى إذا دخل القلب؛ عَمِيت البصيرة.

---

(١) تقدم عزوه قبل قليل.

وهل الشريعة الإسلامية تخالف الحرية؟ وهل المسلمون عبيد إلا لله ﷻ؟ ومنقادون إلا للحق؟ فهم أحرار ولكن الأحزاب تستعبد الناس باسم البيعة والطاعة، والولاء والوفاء والعهد وغير ذلك، مع المخالفة لهدي النبي ﷺ، أين تعظيم الدين والإسلام والنصوص، هؤلاء قد ينطبق عليهم ما قاله عبد الله بن مغفل رضي الله عنه حين أقبل ابن الأشعث: «والله قد رابني أمران: لئن ظَهر لا يقوم لله دين، ولئن ظُهر عليه لا يزالون أذلة إلى يوم القيامة»[1]، فالمسلم المُوفَّق ليس له طريق للنجاة إلا الاستسلام لما جاء به الرسول ﷺ.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيءٍ من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال؛ فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحدٌ منهم يُعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينًا غير ما جاء به رسول الله ﷺ، وإذا أراد معرفة شيءٍ من الدين والكلام فيه؛ نظر فيما قاله الله والرسول ﷺ، فمنه يتعلم، وبه ينظر وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر، على ما تلقوه من الرسول ﷺ، بل على ما رأوه وذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضا أو حرفوها تأويلا، فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة، وأهل النفاق والبدعة»[2].

فالأمور قد بُينت، والسبيل قد وضح، والحق في الغالب يخالف هوى النفوس والشهوات، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٢٠٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/٦٣).

روى مسلم عن بعض الصحابة ﷺ أنه قال: «نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعًا، وطواعية الله ورسوله ﷺ أنفع لنا»(١).

ومن المقرر، بل من العقل الصحيح الذي يستنير به أهل السنة ويبصرون به الواقع؛ ويرونه رأي العين، أنَّ من الاستعمار الجديد؛ فرض التعددية الحزبية على بلاد المسلمين بعد أن كانوا قد مزقوها إلى دويلات، ولكن ذلك الأمر لم يجد نفعًا كثيرًا؛ فسعوا لتمزيق الأمة الواحدة إلى أحزاب، وكل حزب يخالف الآخر، وكل حزب بما لديهم فرحون، وزخرف لهم أن هذا الفعل هو سبيل العدل والحرية وضمان الحقوق؛ فجُعلت الأحزاب في صراع مع حكوماتها، باسم الديمقراطية والحرية التي كانوا بالأمس ينكرونها؛ فاشتعلت الدول واشتغلت في نفسها، وتفرغ العدو لنهبها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

انظروا في التاريخ لتعرفوا الحال، وانظروا في من حولكم وقلِّبوا النظر؛ لتعرفوا كم خربت الأحزاب؟ وكم أضرت؟ وكم شتتت؟ وكم ألهبت من فتن؟ لم يجن الناس منها سوى المحن والقلاقل والفرقة والدمار، ما دخلت بلدًا إلا فرقت شمله وأذهبت بمودته وألفته!!، ما كان الناس يعرفون أحزابًا، بل كانوا يدًا واحدة، ولما تحزبوا اختلفوا حتى إنك لتجد أهل البيت مختلفين فيما بينهم، بل صار الجليس لا يأمن جليسه ولا ينفتح له قلبه إلا إذا عرف أنه من حزبه، فكلٌ يستخفي عن صاحبه، وأمة الإسلام لا يُصلِحُ آخرَها إلا ما أصلح أولها، والله ﷻ ما ذكر الأحزاب في القرآن إلا ذمها، والواقع خير شاهد: بدايته التفرق، ونهايته الاقتتال بعد التمزق، مع كثرة الفتن والمنازعة للولاة.

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٤٠٢٧).

ولذلك فإن من الفتن العظيمة المحدثة مؤخرًا، والتي أثرت في وحدة الأمة وساهمت في تشتتها، وأذهبت هيبة الإمارة، وأضعفت عقد الطاعة: ما يستخدمه أهل التحزب وغيرهم ممن سار على نهجهم، وانخرط في سلكهم، من الإضرابات والاعتصامات والمظاهرات، فهذا نوعٌ من طرق الإنكار العصرية، ولكنها مستوردة من الخارج، ويتشبه فيها أهل الإسلام بغيرهم، ويسلكها الناس تعبيرًا عن سخطهم على ولاتهم ودولتهم، وطلبًا لتحقيق حقوقهم وما يريدونه منها، فيقال لهم: أُخرجوا واعتصموا واكتبوا اللوحات؛ وسينفذ لكم مطالبكم، وهم عادةً يسلكون هذا المسلك؛ لأنهم لا يملكون الشجاعة للمواجهة والمخاطبة وجهًا لوجه، فيصيحون من بعيد ويشركون الجماهير ليحتموا بها، ثم إذا جاء البلاء؛ انسلوا وتركوا الناس يصيبهم ما يصيبهم، وهذا في الحقيقة ليس من النصح، وإنما هو تشهير، والناصح الصادق إنما ينصح على وفق الشرع الذي جاء به رسولنا ﷺ فينصح في ستر تام، وشفقة ورحمة، فيشفق على الإمام الذي وقع في خطأ؛ فكلنا خطاء، ويشفق على الناس بأن لا يجرهم إلى بلاء، ولا يثير فتنة.

يقول النبي ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية** -فلا فضائيات ولا قنوات ولا إذاعات ولا منابر ولا صحف ولا مجلات ولا غير ذلك- **ولكن ليأخذ بيده فيخلوا به** -يأخذ بيده إشارةً للرفق، ويخلو به إشارةً إلى الكتمان والستر- **فإن قبل منه فذاك وإلا قد أدى الذي عليه**»[1].

يعني إن أردت أن تنصح السلطان فاتبع هذا السبيل: فإن قبل منك فذاك طيب، وإن لم يقبل منك؛ فقد أديت الذي عليك، لا تقل: نصحتُ السلطان فلم ينتصح؛ فليس لدينا إلا الخروج عليه، هذا باطل فأنت قد أديت الذي عليك،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٢١)، وقال الألباني: «صحيح لغيره».

وانتهت مهمتك هنا، ولا تزد على ذلك إلا بالدعاء له، ولا تُشَوِّش ولا تُثِر الناس، ولا تذكر ما عند السلطان من معاصي، ولا تنزع يدًا من طاعة.

ولما جاء سعيد بن جمهان إلى الصحابي عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه وقال: «إن السلطان يظلم الناس ويفعل ويفعل، قال: فتناول يدي فغمزها غمزًا شديدًا وقال: ويحك يا ابن جمهان، عليكَ بالسواد الأعظم، عليكَ بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يقبل منك؛ فأتهِ في بيته فأخبره ما تعلم، وإلا فدعه؛ فإنك لست بأعلم من السلطان»[١].

كم من أمور لما نجلس مع المسؤولين؛ يتبين أنَّ الحق معهم، وإن كان الدليل معنا، فدين الإسلام دين مصلحة وليس دين جمود، وقد يدفع السلطان مفسدةً كبرى بارتكاب هذه المفسدة وأنت لا تعرف، فإن قبِل منك فذاك، وإلا دعه؛ فإنك لست بأعلم من السلطان.

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله ينهون عن سب الأئمة ويشددون في ذلك.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه»[٢].

وقال أبو جمرة الضبعي: «لما بلغني تحريق البيت خرجت إلى مكة واختلفت إلى ابن عباس رضي الله عنهما حتى عرفني واستأنس بي؛ فسببت الحجاج عنده - والحجاج مبيرُ هذه الأمة كما عند الترمذي: أحصوا ما قتل الحجاج صبرًا فبلغ مائة وعشرين ألفًا[٣]- فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تكُن عونًا للشيطان»[٤]، هذا سبٌ في

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٨٧).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٢٢٠)، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٤) «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ١٠٤).

مجلس خاص، وعند من عرفه واستأنس به، فبين أن السبَّ ولو للإمام الظلوم الغشوم عونٌ للشيطان.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض**»[١].

قال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله: «ما سبَّ قومٌ أميرهم إلا حرموا خيره»[٢].

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين؛ أصلح الله دينهم ودنياهم، وإن استخفوا بهذين؛ أفسدوا دينهم ودنياهم»[٣].

كم تسمعون من سب؟ وكم تسمعون من طعن؟ وكم تسمعون من لمز؟ كل هذا يخالف هدي النبي ﷺ؛ فالإمام لا يُنكر عليه علانية، ولا يُسب ولا يُشغب عليه، ولكن يُنصح خُفية، وهذا في الحقيقة هو جهاد أهل السنة، فإن كنت صادقًا مخلصًا محبًا لوطنك ولإمامك وللناس؛ فانصح في السر، وانصح خفية فهذا هو الجهاد؛ ولذلك قال النبي ﷺ حين سُئل عن أفضل الجهاد: «**كلمةُ حقٍ عند سلطانٍ جائر**»[٤]، وتأمل قوله: «**عند**»، ليس في الفضائيات ولا في الإذاعات، وإنما كلمة حق عند سلطان جائر، وهنا إذا حصل الضرر، فسيكون على شخصٍ واحد فقط، وإذا قتلك فأنت شهيد بنص حديث رسول الله ﷺ، تنهاه وتنصحه لله وليس لشهوة، ثم إن قتلك فأنت شهيد إن شاء الله.

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٩٢)، وابن حبان (١٠/ ٤٨٣)، وقال الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٤٠٢٠): «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٨٧)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (١/ ٤٠٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٦٠).

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٤٤)، والترمذي رقم (٢١٧٤)، وابن ماجه رقم (٤٠١١)، وقال النووي في «الرياض» ص٨٦: «إسناده صحيح».

قال الشوكاني رحمه الله: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل؛ أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله»[١].

فالأمر دين وسنة، فلا بد من معرفة الحق، والصدور عن أهله، وتعلم التصرف عند الفتن، وإلا فالزلل واتباع سبيل الشيطان والانحراف.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] فهؤلاء إذا جاءتهم الفتن نشروها، ولو ردوها إلى الرسول ﷺ أي: إلى السنة، وإلى أولي الأمر منهم أي: العلماء الراسخين من أهل الاستنباط، لعلموه، ولكن أكثر الناس يتبعون الهوى، ولولا فضل الله ورحمته لاتبعنا الشيطان إلا قليلا، فالشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض، يتسابق ويزجه في الفتن، والفتن من دخل فيها لا بد أن تصيبه، قال ﷺ عنها: «**من تشرف لها تستشرفه**»[٢]، أي: من دخل في الفتن؛ لا بد أن تصيبه.

وإنه[٣] لا يخفى على مسلم آمن بالله وصدق بما جاء به رسول الله ﷺ، أن الإسلام دينٌ جاء بالمصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، فما من شيء يقرب إلى الله والجنة إلا ودل الناس عليه، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقد تُركنا على المحجة البيضاء، والجادة الواضحة التي ليس فيها أدنى لبس، ليلها ونهارها سواء، لا يزيغ عنها إلا هالك، وإن من أهم

---

(١) «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» (٤/٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٠٨١)، ومسلم رقم (٧٤٩٢).

(٣) من هنا تبدأ المحاضرة الثانية.

المسائل التي وُضحت وبُينت مسائل السلطان، فقد بينها النبي ﷺ أوضحَ بيان، وبكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا؛ إذ الخلل في هذا الباب يجر الأمة إلى بلاءٍ عظيم وأمور مدلهمة، وهذا واضح لكل من نظر في التاريخ والسير، واعتبر بما جاء فيها من العبر.

وجاء في الأحاديث التي تقدم ذكرها في أوصاف الأئمة في آخر الزمان ومن قبلهم: «**شرار أئمتكم**»، «**تبغضونهم ويبغضونكم، تلعنونهم ويلعنونكم**»، «**ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها**»، «**يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا**»، «**يأتي شيئًا من معصية الله**»، «**لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**»، «**دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**»، «**تعرف منهم وتنكر**»[1].

فهل سيزيد حاكم في الشر على ما ذكره الرسول ﷺ؟ فهذه كلُها ضلالات وظلمات بعضها فوق بعض، وليس بعدها إلا الكفر البواح، ومع ذلك قال النبي ﷺ في السبيل التي يجب أن تسلك: «**فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة**»، «**أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا**»، «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»، «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**»، «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»، «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه؛ فليصبر فإنه من فارق السلطان شبرًا فمات ميتته جاهلية**»[1].

هل بعد هذا البيان من بيان؟ وهل بعد هذا التوجيه من توجيه؟ فقد ذكر ﷺ كل ما سُيفعل من سوءٍ إلى يوم القيامة مما دون الكفر، ووجَّه بكل هذه التوجيهات؛ فَسَدَّ بذلك كل المنافذ.

---

(١) تقدم تخريج هذه الأحاديث.

وهذا يدل على أن هذا الباب يخالف هوى النفوس؛ فالبيعة جاءت في حال العسر وفي حال الكُره وفي حال الأَثَرة، ولذلك يأنف كثيرٌ من الناس من هذا الباب، ويطبلون لكل مخالف، ويرون أن هذا الالتزام من الذل والهوان والانبطاح للسلطان، وأن هذا البيان لا يستفيد منه إلا الحكام، وأن المتكلم في هذا إنما هو: بوق من أبواق السلاطين، وقد مُلأ بطنه لأجل هذا الكلام، إلى غير ذلك من التهم والافتراآت، ولِلكل موقفٌ بين يدي الله ﷻ.

ثم هذه الجماعات الإسلامية التي تنكبت الطريق، وسلكت مسلك الثورة والخروج، قد يصل عمر بعضها إلى القريب من مائة عام، ماذا فعلوا؟ كم حصلوا من سلطة؟ والله لم يحصلوا على قلامة ظفر، بل زادوا الأمة جراحًا وفراقًا وتشتيتًا؟ فليس الحق بالإدعاء، فهم يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين، ثم تأتي الأحداث فيتلونون ويتذبذبون، ولكن ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، وكلما ظهر فرقٌ قطع، كلما ظهر فرقٌ قطع، كلما ظهر فرقٌ قطع، هكذا قاله النبي ﷺ وكرره أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج الدجال في عراضهم، وهم لا يعتبرون، فلا دينًا أقاموا، ولا دنيا أشادوا.

فهذا الباب من أحكم أبواب الدين بنيانًا، ومن أشدها إغلاقًا، ومن أوضحها بيانًا، فلا يمكن لأحد أن يتسوره إلا إذا داس النصوص تحت قدميه، وصم عنها أذنيه، بل حتى الكفر لم يجعله الرسول ﷺ للناس، فقد بينه أوضح بيان ورد حكمه إلى الله وحده بقوله: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»[1]، فقيَّد الأمر بالعلم التام بالكفر البواح الذي اتضح دليله من الله، لا من عقول الناس، ولا من عواطفهم ولا من توجهاتهم، مع التحذير الشديد من المفارقة، ولو كانت يسيره كالشبر، وبين أن من استذل الإمارة لقي الله ﷻ ولا

---

(١) تقدم تخريجه.

وجه له عنده، وأن من أهان سلطان الله فإن الله سيهينه، ولذلك أجمع أهل السنة كما تقدم النقل عنهم على تحريم الخروج على الأئمة، وأجمعوا على تحريم انتقاصهم وسبهم، والتشهير بهم والتثبيط عنهم، بل ألزم العلماءُ من أهل السنة من السلف الحاكمَ بحبس المثبط عنه؛ درءًا للفتنة وحفاظًا على الجماعة وانتظام أمور الملة.

ومن هذا الباب أنكر العلماء رحمهم الله التظاهر والاعتصام والإضراب ونحو ذلك؛ لأن هذا يُضعف الجماعة ويفرق الأمة، ويضعف عقد البيعة ويوهن الإمارة ويذهب بهيبتها، فمن حق النبي ﷺ على أمته أن يطاع في أوامره في حق السلطان، ومن حق السلطان على رعيته أن يُطيعوه في طاعة الله ورسوله ﷺ في المعروف، وأن يتركوا جميع أسباب الخروج عليه، فمن اعتصم ضده لاشك أنه قد نازعه في منصبه، وأراد إحلال غيره مكانه، وهذا لا يُجَوِّزه الشرع ما دام السلطان مسلمًا، مهما كان ظلومًا عسوفًا فاسقًا.

ولا تقل قد أثبتت هذه الأمور جدواها، وثبت نفعها وآتت ثمارها؛ فالنجاح منوطٌ بالشرع، والنجاح الظاهري لا يعتبر في الشرع، إلا إذا تحقق فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: أن يكون العاملون فيه قصدوا بفعلهم وجه ربهم سبحانه، لا إقامة الدنيا.

والشرط الثاني: أن يكونوا في فعلهم متبعين لرسول الله ﷺ، لا مخالفين له.

وإلا كان هذا الأمر من تزيين الشيطان؛ فالشيطان يلبس على الناس ويزين الأمور بالظواهر؛ ليصد الناس عن البحث عن البينات والأدلة الواضحات، كما قال الله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، فلننظر في هذه الوسائل، ولنرجعها إلى الأدلة الشرعية وأقوال

العلماء المرضية، ممن أمنت عليه الفتنة ولقي الله ﷻ؛ فالحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»(١).

فما الذي ينتقده العلماء في هذه الأمور، ولا يُجوزونها بسببه؟

أذكر أربعة أمور فحسب:

الأمر الأول: أنها تدخل في حكم الخروج على السلطان ضِمنًا، فمن تظاهر فقد دخل في حكم الخروج، وقد قال النبي ﷺ: **«من كره من أميره شيئًا فليصبر؛ فإنه من خرج عن السلطان شبرًا فمات مات ميتة جاهلية»**(٢).

وفي المظاهرات خروجٌ عن السلطان بآلاف الأشبار، وليس بشبر واحد فقط، وأصل الخروج إنما هو الخروج باللسان؛ فالنبي ﷺ لما ذكر الخوارج وحذر منهم، كان ذلك عندما جاءه رجل فقال له: يا محمد اعدل -قالها بلسانه- فقال ﷺ: **«ويحك إذا لم أعدل فمن يعدل؟ ثم قال ﷺ: يخرج من ضئضئ هذا، أقوام يحقر أحدكم صلاته بصلاتهم، وصيامه بصيامهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»**(٣)، فبين أن أول خروج كان باللسان.

ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله: «الشجار بالألسنة والأيدي أصلٌ لما جرى بين الأمة بعد ذلك في الدين والدنيا، فليعتبر العاقل بذلك وهو مذهب أهل السنة والجماعة»(٤).

---

(١) ذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤)، وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٠٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٣٥١)، ومسلم رقم (٢٥٠٠).
(٤) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٥/ ٥١).

بل عدَّ علماؤنا رحمهم الله القعدية من الخوارج: أخبث الخوارج.

ففي «مسائل الإمام أحمد رحمه الله برواية أبي داوود» عن عبدالله بن محمد قال: «قعد الخوارج هم أخبث الخوارج»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في هدي الساري: «والقعدية الذين يزينون الخروج على السلطان، ولا يباشرون ذلك»[٢]، فيجلس في بيته خلف شاشاته يزين الخروج؛ بذكر المثالب وغير ذلك، وهو لا يباشر الخروج، فهؤلاء هم أخبث الخوارج؛ لأن الشر منهم ينطلق وبهم يبتدئ؛ فهم أساسه وهم أصله.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله في الحديث هذا: «**من خرج من السلطان شبرًا**»: «المراد بالمفارقة: السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر؛ لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق»[٣].

ومن أكبر شعار التظاهر قولهم: الشعب يريد إسقاط النظام، وهل بعد هذا من منازعة؟

الأمر الثاني: أن الرسول ﷺ أخبر بكل ما سيكون من الحُكام إلى يوم القيامة، فأخبر بظلمهم وجورهم وأثرتهم وغير ذلك، ولم يرشد إلى هذه الوسيلة، بل أرشد إلى عكس ذلك، فأرشد إلى الصبر، وأرشد إلى الدعاء، وسؤال العون والفرج من الله ﷻ، وأرشد إلى عدم المنازعة، فهذه الوسيلة هل كانت خيرا وغفل عنها رسول الله ﷺ أو نسيها؟ وهو القائل: «**ليس من عمل**

---

(١) «مسائل الإمام أحمد» ص٢٧١.

(٢) «مقدمة فتح الباري» ٤٥٩.

(٣) نقله عنه الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٧).

يقرب إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به»[١].

بل في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأنذرهم من شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء شديد وأمور تنكرونها، ثم تجيء فتن يرقق بعضها بعضا**» فهذا ذكرٌ للفتن ثم قال النبي ﷺ: «**ومن بايع إمامًا**- فذكر الشر وذكر ما سيكون وذكر الحال التي يعيشها الناس من أهل الإسلام في كثير من الأعصار- **فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده؛ فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**»[٢]، فوجه في وقت الفتن إلى طاعة ولي الأمر وعدم منازعته، فأين المظاهرات من هذا البيان؟

الأمر الثالث: أنه لا مصلحة في هذه الطُرق، وذلك أنه لو كان فيها مصلحة للجأ إليها الرسول ﷺ؛ لأن وسيلتها كانت متوفرة في عهده، ومقتضاها كان قائمًا، فهي في حقيقتها تقوم على أن تجتمع الجموع ثم تنادي بأصواتها، ثم تتقدم بأقدامها، فالمقتضي وهو الظلم كان قائمًا بقرنية، فالرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ظُلموا وشُردوا وعُذبوا وقُتلوا وأُوذوا، بل جُوعوا فمنع عنهم الطعام والشراب وصُدوا عن البيت، ومع ذلك لم يسلك النبي ﷺ هذه الطريقة؛ فدل على أن سلوكها مخالف لسنة رسول الله ﷺ.

ولا تقل إنها من النوازل المحدثة التي حصلت في يومنا هذا وفي عصرنا هذا، فنُخرجها مخرج المصالح المرسلة؛ لأن هذا لا يصح، والمانع من ذلك أن النبي ﷺ أخبر عن فتنة السلاطين التي ستحدث، وأخبر عن علاجها، فذكر الداء

---

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٤٤)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ١٤٤): صحيح لغيره.

(٢) «صحيح مسلم» رقم (٤٨٨٢).

والدواء في السنة، والنازلة لا علم للناس بها قبل وقوعها، وهذه الفتن بينت بأوضح بيان، فاعتبارها نازلة من قلة العلم والتلبيس على الناس!!

نعم قد يحصل بسبب بعضها شيءٌ من الخير، ولكن الشر الناتج من ذلك أعظم بكثير، والواقع خير شاهد، والنصوص واضحة؛ فلا يجوز لأحدٍ أن يتعلق بالنتائج الوقتية التي تخالف السنة النبوية، فهذا لا يفعله إلا من ضعف تصديقه بالهدي النبوي والوحي السماوي.

ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: «نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعًا، وطواعية الله ورسولِه أنفع لنا»[1].

قال ابن أبي العز رحمه الله: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد، أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور»[2].

الأمر الرابع: أن هذا العمل عملٌ مستورد، فهو ليس من عمل المسلمين، وأول من فعله هم الشيوعيون، ودين الإسلام جاء بالممايزة والمخالفة، حتى قال النبي ﷺ: «**ليس منا من عمل بسنة غيرنا**»[3].

وهذا في الحقيقة لوحده يكفي، وقد أفتى كبار علماء العصر ممن تقدم بتحريم هذا الأمر، وأنه سبب للفساد، وسبب للشر، وسبب للتعدي على حقوق الناس.

وقد يقول قائل: إنها مما يسمح به النظام الحاكم، فيقال: هل النظام وحي من رب العالمين فهو لا يُخطئ؟! حتى يقال فيه هذا القول، فالنظام قد يسمح بالربا، وقد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «شرح العقيد الطحاوية» ص٣٧٩.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم (١١١٧٣)، وقال الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٩٥٦٩): «صحيح».

يسمح بالزنا، وقد يُجَوز فتح دور الدعارة، وقد يسمح بالخمر، فهل يطاع في هذا؟

لا شك أن هذا من الاضطراب في الفهم، فالنظام ليس وحيًا من رب العالمين، ثم كل نظام في قرارة نفسه لا يرضى بذلك، ولو أقسم رجل على ذلك لكان في قسمه مُصدَقًا؛ لأن ذلك يخل بالأمن ويذهب هيبة السلطان ولابد.

ولا تقل: إنها سلمية، إذ كيف تكون سلمية وأهون ما فيها أنها تُجرئ على ولاة الأمور، وتُرفع فيها الشعارات المعرضة به، ثم تتدرج إلى السب، ثم: الشعب يريد إسقاط النظام، ثم: الشعب يريد محاكمة النظام، ثم المصادمات، ثم الدماء، ناهيك عن إغلاق الشوارع، وحرق الممتلكات وغير ذلك من الأمور المنكرة.

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يقول له: صف لي الفتنة كأني أراها رأي العين؛ فقال له: لو كنتُ شاعرًا لوصفتها لك بشعري، ولكن أخبرك عنها بمبلغ علمي ورأيي: «الفتنة تُلقَح بالنجوى، وتُنتَج بالشكوى»[1].

وهذا كلام خبير قاسى الفتن وعاناها، فالفتنة تُلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى؛ فيبدأ الأمر بأمور منظمة، بل قد يُمهد لها باتصالات واسعة، خارجية أو أجنبية أو غير ذلك، والأمر لا يخفى على أحد، ثم يظهر الناس يشتكون ويطالبون، فهي تُلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى، وليست عفوية بل لها أمور وملابسات في الباطن.

وقد سمعت بعض الرموز يخطب في الجموع فيقول: «إن المظاهرات حق شرعي وواجب دستوري».

أين برهانك من الكتاب والسنة؟

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٠١).

ويقول: «إنها أعظم وسيلةٍ لاسترداد الحقوق، والضغط على الطغاة وإنكار المنكرات، ولا يستطيع أحد أن يزايد عليها)، فالأمر قد تم، والحجج قد وضحت كما يدعي.

بل قالوا وبئس ما قالوا: «المظاهرات بداية تطبيق الشريعة الإسلامية»، وفي الحقيقة هي بداية إقصاء الشريعة الإسلامية، وللأسف ترى الجهال يطبلون لهذه الشعارات الباطلة، ولذلك لما استقر بهم المطاف وقامت ثورتهم قالوا: نحن نريد دولة مدنية.

قال النبي ﷺ: «**يأتي على الناس سنوات خداعات** -وفي رواية- **بين يدي الساعة سُنون خداعة: يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة**»[1].

فترى الرجل التافه يتكلم في أمور الأمة العظام، وفي النوازل الكبرى التي لو عرضت على عمر رضي الله عنه؛ لجمع لها أهل بدر.

فهذا زمن فتن وجهل، ودنيا معظمة وأهواء مستحكمة، فالقائل بالحق منبوذ، والمبين للعلم جاهل، والمتبع للسنة مثبط، وفي المقابل: من شغب على الإمام شجاع بطل، ومن نطق بالهوى علاَّمة، ومن سعى للفتنة إمام متبوع، ومن خرق الإجماع فقيه، والمفارق للجماعة من الأحرار، والمذل للسلطان من الأبطال، نعوذ بالله من الفتن.

قال النبي ﷺ: «**إنه ليُنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلفُ لهم هباءٌ من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢)، وابن ماجه رقم (٤٠٣٦)، وقال الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٨٤): إسناده جيد.

(٢) «مسند الإمام أحمد» رقم (١٩٦٣٦)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٩)، وانظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٨٢).

قال الإمام الماوردي رحمه الله وكأنه يصف حالنا وهو المتوفى سنة ٤٥٠هـ: «ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة، ومذاهب مخترعة يزوقون كلامًا مموهًا، ويزخرفون مذهبًا مشوهًا، يخلبون به قلوب الأغمار، ويعتضدون على نصرته بالسفلة الأشرار- فهم جهال، أرأيتم التلبيس في الشهادة، وفي الجهاد والتظاهر- فيصبُ الناس إليهم بخلابة كلامهم وحسن ألطافهم -فصاحة ودغدغة للعواطف- مع أن لكل جديد لذة، ولكل مستحدث صبوة، وقال النبي ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان**»[1]، فتصير حينئذٍ البدع فاشية، ومذاهب الحق واهية- تنتشر البدع في كل مكان، وكل من تكلم بالحق تكلموا فيه واتهموه، واتهموا نيته وعارضوه بحجج واهية وأقوال عقلية- ثم يفضي بهم الأمر إلى التحزب والعصبة - يتحزبون ويتعصبون لحزبهم، وكل من خالفهم نبذوه، فبكلمة واحدة يغضب الجميع ويهجمون عليه؛ حتى يشك صاحب الحق أنه على الحق أم لا من كثرة الجموع المنكِرة- فإذا رأوا كثرة جمعهم وقوة شوكتهم داخلهم عز القوة ونخوة الكثرة؛ فتظافر جهال نساكهم وفسقة علمائهم بالميل على مخالفيهم- ففيهم علماء، ولكنهم ليسوا على السبيل فلا تغتر بهم فهم يهجمون على كل من خالفهم في هذا المبدأ، فإن شئت قل بمنع التظاهر، وبعدم وصف من قُتل بالشهادة، وبعدم العون على الإثارة بتسكيت الفتن، فيميلون علي مخالفيهم ميلةً واحدة لمنعهم من بيان الحق- فإذا استتب لهم ذلك زاحموا السلطان في رئاسته وقبحوا عند العامة جميل سيرته- فإذا كتمت الأصوات؛ فلا يظهر في الإعلام إلا هم، ولا يستضاف إلا هم، فليس لهم

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢)، وعبد بن حميد رقم (١١)، والبزار رقم (٣٠٥)، عن عمر ابن الخطاب، وله شاهد عند ابن حبان رقم (٨٠)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

شغلٌ إلا التكلم في الحكام- فربما انفتق مالا يرتق فإن كبار الأمور تبدوا صغارًا»[١]، نعوذ بالله من الفتن والتلبيس والبهتان.

ومن المعروف عند علماء الإسلام إجماعًا أن الإمامة في الإسلام لا تنعقد إلا بثلاثة طرق لا رابع لها أبدًا، وهي:

الطريقة الأولى: طريقة النص والاستخلاف، بأن يجعل الإمام القائم خليفةً له في حياته، يعهد إليه بعد مماته؛ فإذا مات الإمام انتقل الحكم مباشرةً إلى من خلفه، وتسمى هذه ولاية العهد، وأكثر أهل التشغيب يسمونه توريث الحكم، ويتهمون من يفعله بالجرم والظلم والجور؛ لأنهم يورثون الحكم، وهذا الأمر جائز بإجماع العلماء، ولا خلاف فيه بين الأمة.

ولكن أكثر الدعوات الحركية تنكر ذلك لماذا؟ والإجماع منعقد والأدلة كثيرة، فهم ينكرون ذلك حتى انغرس في عقول كثير من الشباب أن من ظُلم الحكام توريث الحكم، وسبب ذلك أن توريث الحكم يمنعهم من الوصول إلى السلطة بالطريقة المعروفة عند الكفرة، ويقولون: توريث الحكم ينافي الديمقراطية!! والدليل على بطلان هذا الزعم هو الإجماع، ودليل الإجماع أن النبي ﷺ همَّ بالاستخلاف وأمرهم أن يأتوه بكتاب ليعهد إلى الصديق رضي الله عنه؛ ففي «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها في مرضه الذي مات فيه: **«ادعِي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[٢].

وأبو بكر رضي الله عنه عهد إلى الفاروق رضي الله عنه من بعده، وعمر عهد إلى أهل الشورى،

---

(١) «درر السلوك في سياسة الملوك» ص١٢٠، ١٢١.

(٢) رواه مسلم رقم (٦٣٣).

وهذا بإجماع الصحابة ﷺ، ولا حجة أقوى من هذه.

الطريقة الثانية: اجتماع أهل الحل والعقد على عقد الولاية والإمارة لشخصٍ يختارونه ويعينونه، وأهل الحل والعقد هم: «علماء، ذوو رأي، ذكور، أحرار، عدول» فهذه خمسة أوصاف، فالشورى في الإسلام أن يجتمع أهل الحل والعقد، وبهذا تخالف الشورى الإسلامية الطريقة الديمقراطية، التي يستوي فيها الرفيع والوضيع، والرئيس والمرؤوس، والبر والفاجر، والتقي والطالح، والله ﷻ لم يسو بينهم.

قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

قال النووي رحمه الله: «اجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة»(١).

وأكثر الناس اليوم يريدونها عوجًا: يريدون النظام الدستوري، والحكم الجمهوري، والملكية الدستورية، ويكتبون العرائض للمطالبة بالانتخابات، والمشاركة في الدولة، ولا يرضون بالاستخلاف ولا بأهل الحل والعقد؛ لأنهم في نظرهم وميزانهم، من أذيال السلطان وأعوان الطغيان، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وإن من المصيبة أن يترك أهلُ الإسلام التأسيَ بالرسول ﷺ، ولزومَ ركب العلماء، إلى التأسي بالشعوب الثائرة، والحكم بالقوانين والدساتير الكافرة؛

---

(١) «شرح مسلم» للنووي (١٢/ ٢٠٥).

فيهيجون ويمرقون عن طاعة السلطان، ويخرجون عن الجماعة، ويقرون عين الكفرة، ويذهلون عن شكر النعمة؛ لأنهم كانوا في أمن وأمان، فجروا الأمة إلى الفتن، وظنوا نصرة الدين.

الطريقة الثالثة: طريقة القهر والغلبة؛ بأن يقهر إنسانٌ بشوكته وجنوده الناس ويمسك الحكم، وهذا لا يجوز، ولكن إن وقع واستتب له الأمر؛ وجبت طاعته وحرم الخروج عليه.

لماذا؟

قال ابن جماعة رحمه الله: «انعقدت بيعته ولزمت طاعته؛ لينتظم شمل المسلمين وتجتمع كلمتهم»[١]، وهذا الأمر بالإجماع.

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: «وقد اجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب»[٢].

وعقد الإمامة والبيعة أمران واجبان في الشرع الإسلامي.

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها...؛ ولهذا روي أن «**السلطان ظل الله في الأرض**»[٣]، ويقال: «ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلةٍ واحدة بلا سلطان»، والتجربة تبين ذلك؛ ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مجابةٌ لدعونا بها للسلطان...، فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل» »[٤].

---

(١) «تحرير الأحكام» ص٥٥.

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).

قال ابن المبارك رحمه الله[١]:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمةً في ديننا رحمةً منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وقال الطرطوشي رحمه الله: «وكان العلماء يقولون: إن استقامت لكم أمور السلطان؛ فأكثروا حمد الله وشكره، وإن جاءكم منه ما تكرهون وجهوه بما تستوجبونه بذنوبكم، وأقيموا عذر السلطان»[٢].

فهذه طريقة العلماء، فالسلطان له مكانة وحرمة: سواء أكان برًا أم فاجرًا، قال علي رضي الله عنه كما عند ابن أبي شيبة بإسناد صحيح: «لا بد للناس من أمير برٍ أو فاجر»[٣].

وأما عقد البيعة التي يتفلت منها كثير من الناس، وقد ينبذها وراء ظهره، والوعيد فيها شديد، فقد قال النبي ﷺ: «**من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية**»[٤].

وهذا وعيد شديد، والوعيد لا يكون إلا في ترك واجب، وقد أجمع العلماء على أن من صحت إمامته فهو ولي أمر المسلمين، لا يحل لأحدٍ أن يبيت ليلةً لا يرى أن في عنقه بيعةً لهذا الإمام، كما حكاه الإمام أحمد رحمه الله في «أصول السنة»[٥].

---

(١) رواها عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٥١)، وينظر «التمهيد» لابن عبد البر (٢١/ ٢٧٥).
(٢) «سراج الملوك» ص٣٨.
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٥٧)، وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ١٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٦٤).
(٤) رواه مسلم رقم (٤٨٩٩).
(٥) «أصول السنة» ص٤٢.

فإذا بايع أهل الحل والعقد؛ وجبت البيعة في جميع الأمة ممن تحت إمارته.

وهناك شبهة تثار وتقرر حتى في الجامعات وفي الإذاعات، وهي قول بعضهم: «إنه لا توجد اليوم دولةٌ إسلامية أبدًا، وإن هذه النصوص إنما المراد بها السلطان الأعظم، سلطان الخلافة الإسلامية التي تجتمع تحتها كل الأمة، أمَا إذ سقطت الخلافة الكبرى؛ فالدول هذه إنما هي مغتصبة للحكم؛ فلا سمع لها ولا طاعة».

وهذا في الحقيقة لا يقوله عاقل، فكيف بدكتور ومتخصص في الشريعة والدراسات الإسلامية؟!!

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلدٍ أو بلدان؛ له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل من قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمامٍ واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»[1].

قال الشوكاني رحمه الله: «أما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه؛ فمعلومٌ أنه قد صار في كل قطرٍ أو أقطار، الولايةُ إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر كذلك، ولا ينعقد لبعضهم أمرٌ ولا نهيٌ في القطر الآخر، فلا بأس بتعدد الأئمة، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له، على أهل القطر الذي ينعقد فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، وهذا معلومٌ لكل من له اطلاع على أحوال البلاد والعباد، فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية، والمطابق لما تدل عليه الأدلة، ودع عنك ما يقال في مخالفته؛ فإن

---

(١) «فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص٦٧.

الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وما هي عليه الآن أوضح من شمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يُخاطب بالحجة فإنه لا يعقلها»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلًا»[٢].

ولذلك قال علمائنا رحمهم الله: من نزَّل نفسه منزلة ولي الأمر الذي له قدرةٌ وسلطان؛ فدعا جماعةً إلى السمع والطاعة له، أو أعطته تلك الجماعة بيعةً تسمع وتطيع له بموجبها، أو دعا الناس إلى أن يتحاكموا إليه في رد الحقوق، وولي الأمر قائمٌ ظاهر؛ فقد خالف الشريعة وخرج عن الجماعة.

فالبيعة في ديننا لا تكون إلا للإمام فقط، والإمارة لا تكون إلا للإمام، إلا في إمارة السفر فهي إمارةٌ قاصرة محددة، يطاع فيها الأمير فيما يخص مصلحة السفر فحسب.

فالجماعات الإسلامية التي تكون في بلاد المسلمين، وتجعل لنفسها أميرًا تُبايعه، وتوجب على نفسها وأتباعها السمع والطاعة له، هذه جماعات باطلة وفعلها مخالف للشريعة؛ فالإمارة في الحضر في غير الإمام والأمير، بدعة يستعبدون بها الأحرار.

ولكن إذا كانت هذه الجماعة في بلدٍ كافر، وليس هناك إمام ظاهر إسلامي، كيف تفعل؟

---

(١) «السيل الجرار» (٤/ ٥١٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١١٥).

قال العلماء: هذه لا يجوز أن تنصب لنفسها أميرًا ليس له شوكة ولا منعة، يسمع له ويطاع؛ لأن تلك البلدان ليس فيها للمسلمين جماعة.

وقد قال النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه حين سأله: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: «**اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(١).

قال الطبري رحمه الله: «في الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام؛ فتفرق الناس أحزابًا؛ فلا يتبع أحدًا في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خشيةً من الوقوع في الشر»(٢).

فالنبي ﷺ أمر بلزوم جماعة المسلمين إن كان ثَمَّ جماعة، فإن لم تكن جماعة مسلمة؛ فاعتزل تلك الفرق كلها، والنبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول.

فأمير لا يعرف أين مكانه؟ ولا يعرف ما اسمه؟ أبو فلان أبو فلان، ولا يدرى أين يذهب؟ وأين يتحرك؟ وليس له سلطان على أحد، فهذا ليس بأمير ولا سلطان، واعتباره أميرًا لعب وسفه، وتضليل وتفريق، وإرصادٌ للدين القيم، وعدم إقامة للسنة، فالأمر دين ولا بد من تعلم هذه الأحكام.

وأخيرًا أختم بذكر مسألة هي من الأهمية بمكان، وهو سؤال يدور في الأذهان: هل هناك طريقةٌ شرعية لتغيير الظلم والفساد، والتخلص من المفسدين أم لا؟ هل هناك طرق شرعية نستطيع أن نتخلص بها من المفسدين والظلمة الجائرين؟

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (٤٨٩٠).

(٢) نقله الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٣٧).

والجواب: نعم هناك طريقة بينها الله تعالى في كتابه، واتفق عليها العلماء، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فإذا غيروا أنفسهم للأحسن وُلِّي عليهم الأحسن، وذلك أن الجزاء من جنس العمل، والحاكم الظالم من البلاء، والبلاء ينزل بالذنوب ويرفع بالتوبة، ومن القواعد السلطانية، وهي في الحقيقة حكمة ربانية: «كما تكونوا يُولى عليكم»[١]، وهي ليست حديثا كما يظنه بعض الناس، ولكنها حكمة درجت على الألسنة، وشهد التاريخ بصحتها، وفي معناها قولهم: «أعمالكم عمالكم»[٢]، أي: أعمالكم هي حُكامكم، وقول بعضهم: «ظلمُ العُمال؛ ظُلمة الأعمال»[٣]، فلما أظلمت الأعمال؛ ظَلم العمال.

والله ﷻ حكمٌ عدل، والعباد إنما يعيشون تحت رحمة حسناتهم أو نقمة سيئاتهم، وكلما استقام الناس على الشرع؛ استقامت لهم دنياهم؛ ولذلك قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، والناس يقولون: قبل ثلاثين سنة كانت الأمطار لا تنقطع عنا، ما الذي أذهبها؟ والجواب: أذهبتها الذنوب والمعاصي.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، فلا يُنغِص النعم إلا الذنوب، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) ينظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص٥١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر «درر السلوك» للماوردي ص١٠١.

ولقد ذكر الله تعالى جماعَ آفات الدنيا في آية واحدة فقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١]، وسنته في العباد: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فالسلطان الصالح من أعظم النعم؛ ولما كان الصحابة في قمة الصلاح ولى الله عليهم أصلحهم؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(١)]، فالله تعالى يأبى أن يجعل على القدوة والصفوة إلا أفضلهم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي المقابل لما كان بنو إسرائيل في غاية الفسق والسفه؛ وُلي عليهم أفسقهم وهو فرعون الذي قال الله ﷻ عنه: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وقد كان السلف رحمهم الله يوصون الناس عند جور الحاكم أن يعيدوا النظر فيما بينهم وبين الله، وأن يجددوا التوبة، لا أن يخرجوا على السلطان.

ولقد رأى الحسن البصري رحمه الله رجلا يحرض على الخروج على الحجاج؛ فقال: «إن الحجاج عقوبةٌ من الله ﷻ لم تك؛ فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف، ولكن استقبلوها بتوبة وتضرع واستكانة وتوبوا تُكفو»[(٢)].

وفي رواية قال: «اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيرة»[(٣)]، أي: إذا لم تتقوه، فإن ذهب الحجاج فسيأتي حجاج آخر، فالحجاجون كثر، والحكام إنما هم أعمال الرعية.

قال منصور بن أبي الأسود رحمه الله سألت الأعمش رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]: ما سمعتهم يقولون

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٤٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤١٥).

فيه؟- أي: ماذا سمعت من السلف من التابعين ومن قبلهم يقولون في تفسير الآية؟- قال: سمعتهم يقولون: «إذا فسد الناس؛ أُمِّر عليهم شرارهم»(١).

وكتب أخٌ إلى محمد بن يوسف رحمه الله يشكوا إليه جور العمال؛ فكتب إليه محمد: «بلغني كتابك، وتذكُر ما أنتم فيه، وليس ينبغي لمن يعمل المعصية أن ينكر العقوبة، ولم أر ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب، والسلام»(٢).

ومن هذا المعنى قول ربنا عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، فأخبر سبحانه أنه يسلط المترفين بفسقهم على أهل القرية المستحقة للهلاك، والقرى لا تستحق الهلاك إلا إذا كانت ظالمة معتدية، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

قال أبو الجلد الأسدي التابعي رحمه الله: «يُبعث على الناس مُلوكٌ بذنوبهم»(٣).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وتأمل حكمته تعالى من أن جعل ملوك العباد وأمرائهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صورة ولاتهم وملوكهم: فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت ملوكهم، وإن جاروا جارت ملوكهم، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليست في الحكمة الإلهية أن يولي على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم، ولما كان الصدر الأول خيارَ القرون وأبرها؛ كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا؛ شابت لهم الولاة»(٤).

---

(١) أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١/ ٣٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥١).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٦).
(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٤٧٧).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٣).

وإن من الخطأ العظيم أن يعالج ظلم السلطان المسلم بالخروج عليه، بل لابد أن يُدرك السبب الحقيقي لظلم الحاكم، ألا وهو ظلم الرعية، وقلة دينهم وفسادهم، فما دام حال الرعية من السوء بمكان؛ فإزالة السلطان القائم معناه أنك تزيل ظالمًا وتأتي بظالم آخر مكانه، مع ما قد أحدثت من فساد وشر وسوء، فإذا كنت قائمًا على الظلم والرعيةُ قائمةٌ على الفساد؛ فإزالة المفسد كأنك تأتي بمفسد آخر فتضعه مكانه، فلم تغير في الأمر شيئًا.

وقد يكون في أحيان كثيرة، استبدال الحاكم بغيره من ظلم العباد لأنفسهم، فيأتيهم أسوء منه وتُراق دماؤهم، وتذهب معيشتهم، ويفسد أمنُهم بسبب ظلمهم، وهذا أمرٌ واضح، فما دامت الرعية على السوء؛ فلا يأتيهم إلا سيئ؛ لأن عند الله حجاجين كثيرة.

ومن نظر وتأمل دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بان له الأمر واتضح، فالأنبياء عُرضت عليهم السلطة، فالنبي ﷺ تأتيه قريش يقولون له: «إن كنت تريد السؤدد سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا»[1]، ولكنه لم يقبل، ولم يقل نأخذ الحكم ثم نطبق الشرع، إذ ما فائدة حكم والرعيةُ فاسدة والمجتمع فاسد، فلن يغير في الأمر شيئًا، والسعي للملك والسلطة والإمارة بغض النظر عن غيره، هو أصلٌ من أصول الخوارج.

وفي الحقيقة لا بد من تدريس مذهب الخوارج والتحذير منه، وأعني به: سماتهم وأصولهم، وكيف هي منطبقة على كثيرٍ ممن هم من بني جلدتنا، ويتكلم بألسنتنا، فقد تتغير المسميات ولكنهم الخوارج ظهروا في صورٍ جديدة، وهم

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٥/ ١٤٦)، وينظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٥٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٣٨).

يتجددون في كل مكان، ويظهرون في كل حين، نسأل الله أن يكفينا والمسلمين شرهم.

ومن طريقة الأنبياء في الإصلاح ما هو واضح في دعوة موسى الكليم عليه السلام، إذ لما اشتد ببني إسرائيل الأذى وقهروا وأذلوا ورأى حالهم؛ قال لهم كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف: ١٢٨]، فقالوا منزعجين: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فالأذى مستمر علينا قبل أن تأتي، وبعدما جئت، بل زاد علينا؛ فبين لهم سنة الله تعالى في إهلاك من فسد وفسق، وأنه لابد من استعانة وصبر، ثم يأتي بعد ذلك ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فالأمر كله يدور على العمل، فصبروا في أول أمرهم، واستعانوا بالله وتوكلوا عليه؛ فما لبثوا سنين حتى جاءتهم البشائر، وجاءهم التمكين، قال الله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، من كان يظن أن فرعون بقوته وجبروته يُزال؟، ومِن مَن؟، من أضعف الناس الذين قال عنهم: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فليس لهم متنفس أبدًا، وفرعون كان يقول مغرورًا: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ﴾ [الزخرف: ٥١]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، من كان يظن أن الضعاف الذين يذبحون ويشردون يملكون حكمه؟ ولكن الأمر بيدِ الله وليس بيدِ فرعون، فلما تمادوا قليلا بعد التمكين، واختلفت حالهم وأصابهم الفسق؛ جعل موسى عليه السلام يُذكرهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] فأبوا ورفضوا قائلين: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ورغم أن موسى عليه السلام معهم ويدعوهم، فسقوا؛ فقال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، فلما فسقوا عوقبوا هذا العقاب.

فالشعوب إذا لم تكن صالحة بالإيمان لا ينفعها تحصيل السلطة، والأنبياء إنما أول ما أصلحوا، أصلحوا التوحيد، ثم أصلحوا عبادة الناس لربهم، وعلاقتهم بإخوانهم، ولم يسعو للسلطة ونبينا ﷺ وهو سيد المصلحين كيف بدأ دعوته؟ وقد كان إذا خطب الناس أول ما يقول لهم: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»[1]، فهذا يخافه الرسول ﷺ على نفسه، ويقوله للناس لينجو من كل سوء، فلماذا يعرض كثير من دعاة الإسلام عن هذا الأمر العظيم؟ ثم هم يشغلون الناس بما لا فائدة منه، فتراهم لا همَّ لهم إلا السياسة، وحقيقة السياسة في عصرنا هي التكلم في أعراض الحكام، والتفتيش عن سيآتهم، والتربص بحركاتهم؛ فيُجعل الحاكم شماعة، فكل ذنب مصدره الحاكم، وكل فسادٍ أصله الحاكم، فالناس في نظرهم إذا غيروا الحاكم سيصلحون، والحقيقة أن الإنسان إذا نسي نفسه، وغفل عن ذنوبه فسق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، فمن نسي نفسه دخل في سلوك الفسوق، فإذا عُلِّقَ كل خطأ بالحاكم، والناس ليس عندهم أخطاء، والخطأ كله يتحمله الحاكم، متى سيتوب الناس، ومتى يعرفون ذنوبهم، ومتى يرجعون عن غيهم، ومتى سينصلح حالهم، فالأمر ليس بالهين.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (١٠٥١)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وقال الترمذي: «حديث حسن».

والملك ليس للناس، بل الملك لله وحده، يختص به وحده، فلا يمكن لأحدٍ أن يعطي الملك لأحد، أو يهبه لأحد، إنما هو بيد الله وحده يؤتيه من يشاء، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وسنته في الملك: «كما تكونوا يولى عليكم».

وروى ابن أبي شيبة عن محمد بن الحنفية رحمه الله أنه قال: «اتقوا هذه الفتن؛ فإنه لا يستشرف إليها أحدٌ إلا استبقته، ألا إن هؤلاء القوم -يعني الملوك- لهم أجلٌ ومدة، ولو اجتمع من في الأرض على أن يزيلوا ملكهم ما قدروا على ذلك، حتى يكونَ الله هو الذي يأذن فيه، أتستطيعون أن تزيلوا هذه الجبال»[1]، فإذا صَلُح الناس وأقبلوا على الله ﷻ؛ أصلح الله سلطانهم، وإلا فإن عند الله حجاجين كثيرة.

فصلاح الناس صلاح السلطان، وفساد الناس وإقبالهم على الفساد، إنما هو فساد السلطان، وفي الحقيقة إنما أصل الظلم والفساد من الناس: فلولا إقبال الناس على الفساد ما فتحت الخمارات، ولا فتحت دور الدعارة، ولا فتحت بنوك الربا، فلولا إقبال الناس وذهابهم إلى المعاصي، ما أتى التجار بالثياب الخليعة، وما أتوا بالمنكرات؛ فالأصل هم الناس، فقس الأمور بهذا، واسلك سبيل الأنبياء إن كنت صادقًا في دعوتك، ناصحًا لأمتك، ساعيًا في إصلاحها، وإلا فقد قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فالحق بَيِّن، والسنة واضحة، وتركنا على البيضاء: ليلها ونهارها سواء، لا يزيغ عنها إلا هالك، فأسأل الله ﷻ أن يثبتنا والمسلمين على الإيمان، وأن

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٢).

يجنبنا الفتن ما ظهر منه وما بطن، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يجنبنا كل سوء، وأن يصلح ولاة أمورنا، وأن يحفظهم ويوفقهم، وأن يقيض لهم البطانة الصالحة، وأن يصلح جميع ولاة أمور المسلمين، وأن يصلح أحوال المسلمين وحكامهم، وأن يحقن دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

السؤال الأول: هل تجوز الاعتصامات والاحتجاجات بحجة أن قانون البلد يسمح بحرية الرأي؟

الجواب: لا يجوز، ولذلك لو أمرك السلطان بسبه، لا يجوز لك أن تسبه؛ لأن الطاعة في المعروف، فلا يجوز لك أن تطيع أحدًا في المعصية.

السؤال الثاني: هل عرقلة مصلحة عامة بحجة لفت نظر الناس إلى مطالبهم خروجٌ عن السلطان؟

الجواب: قال النبي ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلوا به: فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**»(١).

السؤال الثالث: ما هو الرد الشرعي على من يقولون بأن المظاهرات والاعتصامات تقضي على الفساد وتحقق مصالح الناس و طلباتهم؟

الجواب: هذه من حجج الشيطان التي زينها للناس، والواقع خير شاهد على بطلان ما يقولونه، والعبرة بما وافق الشرع، لا بما وافق الهوى.

السؤال الرابع: هل الأصل في هذه الفتن السكوت لكثرة الغوغائيين وعدم تقبلهم إلا لرأيهم وفهمهم؟

الجواب: عليك أن تبلغ وتبين، وأن تنشر السنة، سُئل الوليد بن مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ ما

---

(١) سبق تخريجه.

إظهار العلم؟ فقال: «إظهار السنة»[١].

السؤال الخامس: بعض الناس يقولون لا يمكن أن نصل للإمام لننصحه إلا بطريقة المسيرات والمظاهرات؟

الجواب: إذا لم تستطع فأخبر من يستطيع ذلك، وقد قال ابن أبي أوفى ﷺ لسعيد بن جمهان لما تكلم على السلطان: «إن كان السلطان يقبل منك؛ فأته في بيته فأخبره ما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه؛ فإنك لست بأعلم من السلطان»[٢]، فإن كان بإمكانك أن تصل؛ وجب عليك أن تُبلغ، وهذا من النصيحة الواجبة، إذ لا يجوز لمن وصل إلى الحاكم ورأى الأخطاء أن لا ينصح له؛ لأن الدين النصيحة كما جاء في الحديث، ويدخل في النصيحة: النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، فلا تغش السلطان، فقد قال أنس ﷺ: «كان الأكابر من أصحاب الرسول ﷺ ينهوننا عن سب الأمراء، ويقولون: لا تغشوهم ولا تبغضوهم، واصبروا فإن الأمر قريب»[٣].

السؤال السادس: ما الرد على من يقول: إن هذه الأحاديث الآمرة بالطاعة للخليفة إنما هي في الإمام الأعظم؟

الجواب: تقدم أن هذا لا يصلح أن يخاطب بالحجة أصلا؛ لأنه قد ركبه الهوى.

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٥٦٣)، وينظر «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» للسيوطي ص٦٦.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٨٨)، وأبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢/ ٣٩٨)، وقال الألباني: «إسناده جيد».

السؤال السابع: ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة: «من السياسة ترك السياسة»؟

الجواب: هي عبارةٌ صحيحة، فإن كنت سياسيًا حقًا فاترك السياسة، وإن كنت حازمًا فأترك ما يضرك؛ لأن السياسة: لا يعلم رأسها من رجلها، فهي في الظاهر شيء وفي الباطن شيء، ولذلك يقولون: «العواطف في الفتن عواصف»، فإذا كنت حازمًا اعرف الظاهر من دينك، واعمل وتوكل على الله، فقد تركت على المحجة البيضاء، والرسول ﷺ لم يخطب عن أحوال الفرس ومكائدهم، فالناس إذا تمسكوا بدينهم لا يضرهم كيد الأعداء ومكرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فعندك طريق واضح، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨]، والله لم يسألك عن كيفية ذلك، فهو سبحانه سيدافع عنك، ولكن اسلك الطريق الصحيح، واسلك السنة التي ليس فيها زلل ولا خطأ.

السؤال الثامن: الدول الكافرة اليوم فيها أحزاب وطوائف، ومع ذلك فإنها قوية ومتينة، ولم تؤثر الأحزاب على قوتها، فلماذا عندما ظهرت الأحزاب في الدول الإسلامية، حل فيها الضعف والهوان وانتشرت الفتن؟

الجواب: أما قرأت قول الله ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، فهم في الظاهر هكذا، أما في الباطن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ثم جماعتنا تحفظ ديننا، وهم لا دين عندهم، فالله ﷻ جعل لهم الدنيا يستمتعون بها: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]، وحكوماتهم لدنياهم، وليست لدينهم، فالدين لا دخل له في الحكم ولا دخل له في الدنيا عندهم، أما أهل الإسلام فقوتهم في اجتماعهم على دينهم،

والإنسان لا يمكن أن يعبد الله حق التعبد إلا إذا كان في أمن وأمان، وهذا واضح في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فقدم الأمن على العبادة، كما قدمه على الطعام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فلا يمكن لأحد أن يهنأ بعيش إلا إذا كان آمنا، ولا يمكن أن يتعبد إلا إذا كان آمنا؛ لأن الفتن تغير الناس وتقلبهم عن دينهم، كما جاء في الحديث: «**فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا**»[1]، فهذه فتن تؤثر على الدين، والمجتمع الإسلامي مجتمع متماسك، مجتمع دين وليس مجتمع دنيا فقط، فلا تغتر بهم، ولا تقلدهم، فدينك ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

السؤال التاسع: بماذا نرد على من يستدل بخروج الحسين رضي الله عنه على يزيد؟

الجواب: نرد عليه بالإجماع الذي نقله ابن تيمية رحمه الله بقوله: «ثم استقر أمرُ أهل السنة والجماعة على ترك القتال في الفتنة، وعلى عدم الخروج على الأئمة»[2]، فاجتهد من السلف من اجتهد، ثم بانت النصوص، فاجمعوا على ذلك فليس في ذلك حجة، بعد بلوغ النصوص وانعقاد الإجماع عليها، وقد بسط جواب هذا ابن تيمية رحمة الله في «منهاج السنة النبوية».

السؤال العاشر: هل يلزم على المسلمين في بلاد الغرب السمع والطاعة؟

الجواب: نحن نتكلم عن السمع والطاعة للحاكم المسلم، ولكن إذا كان هناك قوانين وحقوق، تؤدي مخالفتها إلى إفساد، فيطاعون فيها؛ لأن دين الإسلام دين مصلحة، وأنت في بلاد الكفر حامل رسالة دين ورحمة، وقد وصل السفه

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٢٨).

(٢) سبق.

ببعض الناس أنه يدخل المحلات الكبرى؛ فيسرق ثم يقول: هذا من الفيء والرزق الذي جعله الله لأهل الإيمان، فهذا الفعل يصدُّ الناس عن سبيل الله ﷻ ويُصَوَّر ويُعرَض والله المستعان، فهذا لا شك أنه من الفتنة والضلال وعدم معرفة الإسلام، فالإسلام يحرم غش الكافر وسرقته والاعتداء عليه بغير حق، بل يأمر بالعدل والبر والإحسان.

السؤال الحادي عشر: لو كان المتغلب على الحكم كافرًا، فهل تجب طاعته؟ ولو حصل قتال بين إمامين مسلمين فهل يجاهد مع الأول؟

الجواب: إذا كنت في بلد مسلم مستقر واعتُدي عليها؛ فقاتل التي تبغي حتى تفيء، أما إذا كان القتال قتال فتنة؛ فالواجب الاعتزال.

السؤال الثاني عشر: ما رأيكم فيمن يقول: علماء كل بلد هم وحدهم من يُفتي في أمور بلدهم؟

الجواب: نعم هذا هو الأصل، فالأصل أن أهل مكة أدرى بشعابها، ولكن هذه الفتن لا تتعلق بدولة خاصة، ولا بحاكمٍ خاص، وإنما تمس الأمة كلها، والناس الآن كلٌ يتطلع إلى الأخبار ويستشرف الفتن، إلا من رحم الله، فلا شك أن العلماء الراسخين من أهل البلد هم أعلم من غيرهم بأمورها الخاصة، أما في الأمور العامة فالكل من أهل العلم الراسخين لهم يد في ذلك، خاصةً إذا كان علماء البلد الآخر أعلم وأرسخ، فالمسلمون أمةٌ واحدة وجماعة واحدة.

السؤال الثالث عشر: ما هي حقوق الرعية على ولي الأمر؟

الجواب: هذه نخبر الحاكم بها، بأن يعطى للرعية حقهم ويبذل لهم الخير، وليس مطلوبًا من الحاكم أن يوفر لك وظيفة، فالحاكم يحمي لك الدار والديار، ويوفر لك الأمن والاستقرار، ويسهل لك سبل الرزق والمعيشة، ويسهل لك

سبل العبادة والقربة، والسعي بما يخدم المصالح الكبرى للدِين والدنيا، فإن تعطل أحد عن العمل، أو جاع شخص؛ فالأصل أن ولي الأمر يتفقد أحوال الناس، وأن بطانته يعينونه على ذلك، فإن حصل تقصير فقد قال ابن القيم رحمه الله: «إن الإمام قد يمنع الخير عن رعيته بسبب ذنوب الرعية»[1]، فيُعمى الحاكم عن إيصال الخير للناس، ويُعمى عن النظر في مصالحهم حتى يتفاقم الأمر، وهذا قد يكون بسبب ذنوب الناس، وقد يكون بسبب ذنوب الحاكم، لذلك على الجميع أن يتوب إلى الله عز وجل.

السؤال الرابع عشر: سأل عن بعض الحكام هل يكفر أم لا؟

الجواب: هذا الأمر ليس للناس، وليس للقنوات والفضائيات، إنما هو للراسخين من أهل العلم، ممن يتولون الفتوى في النوازل، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣] فيرد إلى السنة الواضحة البينة بفهم العلماء الراسخين، فالفتاوى العامة التي تجرؤ الناس على الدماء وعلى الخروج والفتن، لا شك أنها فتاوى مغرضة، خالية من الحكمة ومثيرة للفتنة.

السؤال الخامس عشر: ماذا تنصح طلاب العلم، وهم يعانون في نشر السنة؟

الجواب: أولا لا بد من تقوى الله عز وجل، ولابد من الصبر، فأئمتنا أوذوا وابتلوا، وامتحنوا في قضية خلق القرآن، ومنعوا من التحديث، ولكن سلكوا مسلك السنة، وصبروا حتى فرج الله عز وجل عنهم، واتقوا الله فإن الأمر يسير، حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، والناس كما قلت: يؤتون بذنوبهم، والآن وسائل العلم متوفرة، فالكتب متوفرة، والشبكات مفتوحة، فإذا كان عندك دين

---

(١) سبق.

وتقوى، وصدق وتوكل؛ فإن الله تعالى سيوفقك، ولما حضرت معاذ بن جبل رضي الله عنه الوفاة، كان عنده أحد أصحابه من طلابه فبكى، قال: ما يبكيك، قال: «والله ما أبكي إلا لما سيفوتني من العلم والحكمة التي أتعلمها منك»، فقال معاذ رضي الله عنه: «إن العلم والإيمان مكانهما، فمن ابتغاهما وجدهما»[1].

وفي الختام نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يجنبنا كل سوء وفتنة، واستعينوا بالله، وعليكم بكثرة الدعاء والتزام السنة، والالتفاف حول العلماء والأمراء، وجزاكم الله خيرا، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٢)، والترمذي رقم (٣٨٠٤)، وغيرهما، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث والأثر	الصفحة
- اتقوا هذه الفتن - محمد بن الحنفية	٦٠
- أتينا رسول الله ﷺ فبايعناه	٢٩
- ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا	٤٧
- إذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه	١٤
- إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم - الأعمش	٥٦
- اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حمّلوا	١٥
- ألا إن نبيكم ﷺ قد برئ ممن فرق دينه - أم سلمة	١٣
- إنّ أخوف ما أخاف على أمتي منافق	٤٦
- إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا	١٢
- إنّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها	٤٢
- إنّ أول نفاق المرء طعنه على إمامه - أبو الدرداء	٣٤
- إن الحجاج عقوبة من الله - الحسن البصري	٥٥
- إن الشيطان مع من فارق الجماعة	٣٥
- إنما مثل المؤمنين كمثل الجسد الواحد	١٠
- إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته	٤٢
- إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان	٤٥
- إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها	١٤
- إياكم والفتنة لا تهموا بها - معاوية بن أبي سفيان	٢٨

- الجماعة رحمة والفرقة عذاب ٧
- سبعة يظلهم الله في ظله ٧
- ستلقون بعدي أثرة فاصبروا ١٥
- السلطان ظل الله في الأرض ..... ٦، ٤٩
- شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ١٣
- عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ٦
- الفتنة تُلقَح بالنجوى - الحجاج ٤٤
- قد اكتحلنا بعدك السهر - الشعبي ٢٨
- كلما ظهر قرن قطع ٨
- كلمة حق عند سلطان جائر ٣٥
- لا تقولوا لمن يقتل في مغازيكم شهيدًا - عمر بن الخطاب ٢٢
- لا دين إلا بجماعة - عمر بن الخطاب ٧
- لا يزال الناس بخير ما عظموا - التستري ٣٥
- لا يمشين رجل منكم إلى ذي سلطان - حذيفة ٢٦
- لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم ٢٠
- لما بلغني تحريق البيت خرجت - أبو جمرة الضبعي ٣٤
- ليس من عمل يقرب إلى الجنة ٤١
- ليس منا من عمل بسنة غيرنا ٤٣
- ما سب قومٌ أميرهم إلا حرموا - أبو إسحاق السبيعي ٣٥
- المؤمن للمؤمن كالبنيان ١٠
- المؤمن من أهل الإيمان كمنزلة الرأس ١٠

- من أراد أن ينصح لذي سلطان ٦٢
- من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر ٣٧
- من فارق الجماعة واستذل الإمارة ٣٨
- من قتل دون ماله فهو شهيد ٢٣
- من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات - ابن مسعود ٤٠
- نعوذ بالله من شرور أنفسنا ٥٩
- نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعًا ٤٣
- هم يلون من أمرنا خمسًا - الحسن البصري ٧
- وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ٢٦
- والله قد رابني أمران - عبدالله بن مغفل ٣١
- والله لقد رأيته في النار ٢٢
- ويحك إذا لم أعدل فمن يعدل ٤
- ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد - عبد الله بن أبي أوفى ٣٤
- يا أبا أمية لعلي لا ألقاك - عمر بن الخطاب ٢٧
- يا معشر المسلمين الله الله ١٦
- يأتي على الناس سنوات خداعات ٤٥
- يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ١٧

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
- الطريق إلى بحبوحة الجنة	٦
- مكانة السلطان	٦
- صبر العلماء على المحن والفتن	٨
- ثبات الإمام أحمد على السنة	٨
- تحذير الإمام أحمد الفقهاء من الخروج على الحاكم	٩
- حالة مجتمع المدينة قبل بعثة النبي ﷺ	١٠
- قصة اليهودي الذي يريد أن يفرق المسلمين	١٠
- الحزبية من أعظم أسباب التفرق	١٢
- رد دعوى أن التحزب ظاهرة صحية وحرية	١٣
- طاعة الإمام ولو كان ظالمًا وفاسقًا	١٣
- الصبر على ظلم ولاة الأمر	١٥
- مذهب الخوارج	١٧
- التدين هو اتباع السنة	١٨
- ذكر فوائد حديث حذيفة بن اليمان	١٩
- التحذير من مفارقة الجماعة	١٩
- بيان أنه لا يقال فلان شهيد	٢٠
- بيان المراد من حديث: من قتل دون ماله فهو شهيد	٢٠
- الخروج على السلطان حرام بإجماع المسلمين	٢٣

- حالة الناس بعد الثورات ٢٥
- وصية عمر بن الخطاب لسويد بن غفلة ٢٧
- شرح حديث عبادة بن الصامت في البيعة ٢٩
- بيان متى يجوز الخروج على الإمام ٢٩
- أهل الأهواء يسمون الخروج جهادًا ٣٠
- الاستعمار الجديد عن طريق فرض التعددية والحزبية ٣٢
- الاعتصامات والمظاهرات من الفتن التي مزقت الأمة ٣٣
- الطريقة الصحيحة لمناصحة السلطان ٣٣
- نصيحة ابن أبي أوفى لابن جمهان بلزوم الجماعة ٣٤
- الصحابة ينهون عن سب الأئمة ٣٤
- لا ينكر على الإمام علانية ٣٥
- باب الطاعة يخالف هوى النفس ٣٨
- حال الجماعات التي تبحث عن السلطة ٣٨
- النجاح الظاهري من الثورات لا يعتبر في الشرع ٣٩
- المظاهرات تدخل في حكم الخروج على السلطان ٤٠
- أول خروج كان باللسان ٤٠
- أخبث الخوارج هم الخوارج القعدية ٤١
- إخبار النبي ﷺ عن الحكام الظلمة ٤٢
- تعليم الرسول ﷺ أمته كل ما يحتاجونه ٤٢
- أول من فعل المظاهرات هم الشيوعيون ٤٣
- وصف الحجاج للفتنة ٤٤

- آخر الزمان زمن فتن وجهل ٤٥
- الإمام الماوردي كأنه يصف حال هذا الزمان ٤٦
- طرق انعقاد الإمام في الإسلام ٤٧
- الفرق بين الشورى والديمقراطية ٤٨
- إجماع العلماء على وجوب طاعة السلطان المتغلب ٤٩
- شبهة وجوابها ٥١
- البيعة تكون للإمام فقط ٥٢
- إمارة الجماعات الإسلامية باطلة ٥٣
- الطريقة الشرعية لتغيير الظلم والفساد ٥٤
- بذنوب الناس يسلط عليهم الملوك ٥٤
- الخروج على السلطان لا يعالج الفساد ٥٥
- قصة موسى عليه السلام مع قومه ٥٨
- إصلاح التوحيد أولًا ٥٩
- الأسئلة والأجوبة عنها ٦٢

❁ ❁ ❁